334

HARLEQUIN

روايات أحلام

ليلة مع العدوّ

بيني جوردان

www.elromancia.com
مرمورية

ليلة مع العدو

عندما أوى رجل الأعمال ليو جفرسون إلى سريره بعد يوم عمل متعب، وجد مفاجأة : امرأة فاتنة غارقة في النوم في سريره ... وأنسته المفاجأة تعب يومه كله !
ولكن في صباح اليوم التالي، تحولت تلك الفاتنة إلى معلمة صارمة هي جودي مارش التي اعترفت أنها غرقت في النوم في الغرفة الغلط ...
جودي الآن مرعوبة فسمعتها تدمرت بسبب سوء تصرفها ... ولكن كان لدى ليو الحل. فهل تقبل النجدة من عدوها !

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-216-0

١ ـ امرأة في سريره

ـ «إمممم...».

لم تستطع جودي أن تمنع نفسها من اختلاس نظرة استحسان أخرى إلى الرجل الذي كان يجتاز ردهة الفندق.

إنه طويل... أكثر من ستة أقدام، وفي منتصف الثلاثينات من العمر. أسود الشعر واللباس، وتنضح شخصيته رجولة. انتبهت جودي إليه حالما رأته يسير نحو مخرج الفندق. كان تأثيره عليها من القوة بحيث جعل نبضها يتسارع وجسدها يتجاوب بشكل غريب، وللحظة واحدة سمحت لنفسها بأن تهيم حالمة.

التفت فجأة ينظر إليها مباشرة، وكأن نوعاً من اتصال شخصي حاد قد حدث!

ما الذي حدث لها؟

لقد اهتز قلبها، ومعه اهتز عالمها كله، على محوره القوي النشيط... وهو محور مبنيّ على المنطق والواقعية والقيام بكل شيء بحساب، وإذا بكل هذا يقذفها في عالم مختلف... عالم يتخذ من القول الخدّاع المأثور (الحب من أول نظرة نظرة) معنى.

حب من أول نظرة؟ هي؟ أبداً! وبحزم، استعادت جودي عالمها

ومشاعرها.

لا بد أنه ضغط العمل الذي جعل مشاعرها تضطرب بهذا الشكل. (أليس لديك ما يشغلك عن هذا؟) قالت ذلك تعنف نفسها بحزم أكثر مما تستعمله مع تلامذتها الصغار وإن كان هذا لا يعني أنها تسرف في الحزم مع تلامذتها!. كلا، فقد كانت جودي تعشق عملها مديرة ومعلمة في مدرسة المنطقة الإبتدائية وذلك بشكل محموم جعل اصدقاءها يشعرون أن الأحرى بها أن تمنح هذه العواطف لغرامياتها في حياتها أو بالأصح لخلو حياتها منها.

ولأجل المدرسة وتلامذتها الصغار كانت هنا هذا المساء، جالسة في ردهة أفخم فنادق المنطقة، تنتظر وصول ابن عمها.

ـ جودي.

تنفست الصعداء وهي ترى أخيراً ابن عمها نايجل مسرعاً نحوها. ونايجل يعمل في أحد المكاتب الحكومية على بعد عدة أميال في نفس المنطقة، وكان هو أول من أخبرها عن التهديد لمدرستها الغالية.

عندما أخبرها بأن أكبر مصانع المنطقة الذي يستوعب أكبر عدد من العمال، وهو مصنع لإنتاج القطع الأساسية في الإلكترونيات، قد اشتراه أحد المنافسين ويمكن أن يقفل، لم تصدق في البداية.

القرية التي تعلّم جودي فيها جاهدت طويلاً لكي تجذب إليها أرباب الأعمال، فتمنع بذلك نفسها من أن تصبح قرية أخرى في زاوية صغيرة. عندما أنشىء المصنع منذ بضع سنوات لم يجلب للمنطقة موجة جديدة من اليسر فقط، بل أيضاً دفقة من الشبان. وأولاد هؤلاء هم الذين يملأون الآن غرف صفوف مدرسة جودي،

وبدونهم تُقفل مدرسة القرية الصغيرة. وكانت جودي تشعر بلهفة للفوائد التي يمكن أن يجنيها التلامذة الصغار من مدرستها هذه. ولكن على السلطة المحلية أن تلقي على الموضوع نظرة أشمل، لأن التلامذة إذا قلّ عددهم عن رقم معيّن، تُقفل المدرسة.

بعد أن بذلت جهدها في إقناع الآباء بمساندة المدرسة، لن تجلس جانباً تتفرج على رجل متغطرس عديم المشاعر متفرجة عليه وهو يغلق المصنع باسم زيادة أرباحه، ممزقاً بذلك قلب مجتمعهم!

وهذا هو سبب وجودها الآن هنا مع نايجل.

ـ ما الذي علمته؟

سألته بلهفة وهي تهز رأسها رافضة عرضه عليها شراباً. لم تكن جودي تحب الشراب فقد كانت متحفظة بالنسبة إلى من أمضت سنوات في الجامعة والتعليم. وكانت قد اشتغلت خارج البلاد فترة قبل أن تقرر أن مكانها الحقيقي هو في قريتها الريفية الهادئة.

أجابها: «علمت أنه حجز في هذا الفندق، في أفضل جناح فيه، ويبدو أنه غير موجود فيه حالياً».

وعندما تنفست الصعداء بارتياح، نظر إليها نايجل بجفاء: «لكنك أنت التي طلبت رؤيته، فإذا كنت غيرت رأيك...؟».

ـ لا. عليّ أن أفعل شيئاً. القرية كلها تتحدث عن نيته في إقفال المصنع. الآباء يجيئون إليّ الآن قائلين إنهم ربما يضطرون إلى الانتقال من القرية، ولهذا يطلبون مني أن أزكي لهم مدارس لأولادهم عندما يذهبون... فإذا كان عليّ ان أخسر ولو خمسة بالمئة منهم ... أواه يا نايجل... لو نستطيع فقط إن نبقى سنتين أخريين لوصلنا إلى برّ السلامة بشرط أن يبقى المعمل مفتوحاً. هذا هو سبب

www.elromancia.com

اضطراري لرؤية هذا... هذا...

فقال: «اسمه ليو جفرسن. استطعت أن أقنع موظفة الإستقبال بأن تعطيني مفتاح جناحه».

وضحك وهو يرى التعبير الذي بدا على وجهها: «لا بأس فأنا أعرف الفتاة. قلت لها إنك على موعد معه ولكنك وصلت مبكرة. وهكذا من رأيي أن تذهبي إلى هناك، وتنتظرينه حتى إذا عاد تنقضين عليه».

فقالت ساخطة: «لن أفعل شيئاً كهذا، ما أريده هو أن يتفهم مقدار الضرر الذي سيلحقه بهذه القرية إذا أقفل المصنع، ثم أحاول أن أقنعه بتغيير رأيه».

كان يراقبها بأسف وهي تتكلم. مبادئها السامية لا يمكن أن تتماشى مع عقل رجل له سمعة ليو جفرسن. تملكه الإغراء في أن يقترح عليها أن ابتسامة حارة، وغزلاً أنثوياً سخياً قد يفيداها أكثر من ذلك النوع من الحديث الذي يبدو أنها ستجربه معه. لكنه كان يعلم ماهية استقبالها لاقتراحه هذا، والذي هو ضد تزّمتها الأخلاقي.

وهذا شيء مؤسف للغاية في رأيه لأن جودي تملك كل الصفات التي تفتن وتذهل أي رجل. فهي جذابة إلى حد مذهل، ذات قوام كامل الأنوثة، ما يجعل الرجال يتلهفون الى مجرد النظر إليه. حتى وهي تغطي جمال جسمها هذا بملابس عملية كئيبة.

كان شعرها كثاً جعداً لامعاً، وأهدابها كثيفة سوداء فوق عينين زرقاوين مليئتين بالحيوية تعلوان وجنتين عاليتين بشكل بالغ الرقة. لو أنها ليست ابنة عمه، ولو أنه يعرفها منذ كانا في عربة الأطفال لافتتن بها هو نفسه.

بلغت السابعة والعشرين دون أن تتخذ علاقة جادة مع رجل وذلك على حد علم نايجل، مفضلة تكريس نفسها لعملها، وكان هو يعرف رجالاً كثيرين يعتبرون تكريسها ذاك خسارة كلية.

أخذت المفتاح من نايجل راجية أنها تقوم بالعمل الصواب. شعرت فجأة بحلقها يجف، وعندما اعترفت لنايجل بذلك أبلغها بأنه سيأمر بإرسال شراب لها إلى الجناح، وهو يقول مداعباً إنه لا يريد أن يدفعها العطش إلى ان تغزو براد غرفة الرجل.

وضحك لنكتته، فقالت: «هذا ليس مضحكاً».

كانت ما تزال تشعر بالذنب للوسائل الخداعة التي استخدمها للوصول إلى ليو جفرسن، ولكن حسب قول نايجل، هذه هي الوسيلة الوحيدة للحصول على حديث خاص مع الرجل.

كانت أساساً، تأمل في أن تحصل على موعد. لكن نايجل سرعان ما سفَّه هذه الفكرة قائلاً إن رجلاً بمقام ووزن ليو جفرسن لن يتنازل أبداً إلى الاجتماع بمعلمة قروية متواضعة. ولهذا كانت هذه الحيلة السيئة ضرورية.

بعد ذلك بعشر دقائق تمنت جودي وهي تدخل الجناح، أن لا يتأخر ليو جفرسن. كانت قد استيقظت هذا الصباح في السادسة وأخذت تعمل في وضع مشروع لتلامذتها كبار السن الذين سينتقلون إلى مدرسة (كبيرة) عند نهاية السنة الحالية.

بلغت الساعة السابعة تقريباً متجاوزة موعد عشاء جودي فشعرت بالتعب والجوع معاً. تصلب جسدها وهي تسمع صوت باب الجناح يُفتح، لكنه كان النادل يحمل إليها الشراب الذي أمر لها به نايجل. نظرت إلى إبريق العصيرالطازج على المنضدة أمامها بعد خروج

www.elromancia.com

النادل، وسكبت لنفسها كأساً أخذت ترشفه على مهل بشيء من الأسف. كان الماء الصرف يكفيها، وشعرت بفمها يجف توتراً. سكبت لنفسها كأساً أخرى شاعرة بطعم غريب فيه ولكنه ليس غير مستحب.

أخذت تقرأ الصحيفة التي وجدتها على المنضدة ثم تدرّبت على ما ستقوله له عدة مرات. أين هو ليو جفرسن؟ أخذت تتثاءب، وشهقت ذهولاً حين وقفت وإذا بها تترنح.

يا لله!... إنها تشعر بدوار. نظرت بارتياب إلى إبريق العصير. لا يمكن أن يكون ذلك الطعم الغريب فيه كحولاً؟ ذلك ان نايجل يعلم أنها لا تشرب الكحول.

بحثت دائخة عن الحمام قبل ان يعود ليو جفرسن لأنها تريد عند ذلك أن تبدو أنيقة رزينة عملية للغاية أمامه. وأول انطباع، خصوصاً في وضع كهذا، هو هام للغاية!

يبدو أن الحمام كان يلي غرفة النوم كما رأته من خلال الباب الموصل بينه وبين غرفة الجلوس.

سارت نحوه بخطى غير ثابتة. ما الذي كان في ذلك الشراب؟ وفي الحمام الأبيض الفسيح، غسلت يديها وغسلت أماكن النبض فيها وهي تنظر بقلق إلى توهج وجهها في مرآة المغسلة قبل أن تستدير لتخرج.

وتوقفت في غرفة النوم تحدّق طويلاً الى السرير الواسع المريح. كانت تشعر بالتعب. متى سيأتي ذلك الرجل التعيس؟ تثاءبت مرة أخرى، وشعرت بثقل في أجفانها. تمنت لو تستلقي لفترة لتتخلص فقط من هذا الدوار.

بتركيز حذر لإنسان سكران، تسللت إلى ذلك السرير المريح الذي ينتظرها.

* * *

فتح ليو جفرسن باب جناحه وهو ينظر عابساً إلى ساعته. كانت العاشرة والنصف مساء وقد عاد إلى الفندق لتوّه من معاينة أحد مصنعين اشتراهما لتوّه. وقبل ذلك، في أوائل النهار أمضى معظم الوقت مشتبكاً بجدل عنيف مع مالكه السابق أو بالأحرى صهر المالك الذي كان أحمق إلى حد لا يصدّق، وبذل جهده، بالتخويف أولاً ثم بالرشوة، لكي يجعله يغيّر رأيه ويرد إليهم عقد شراء المصنع، قائلاً بلطف مصطنع: «اسمع. لقد اقترف حموي خطأ، وكلنا نخطىء. لقد غيّرنا رأينا بالنسبة إلى بيع المصنع.»

وقد أجابه بجفاء: «فات الوقت على ذلك، بعد توقيع العقد».

لكن جيريمي دريسكول استمر في محاولة إقناعه بتغيير رأيه: «أنا واثق من أن بإمكاننا ان نعثر على طريقة لإقناعك. ما رأيك في اجتماع آخر نعقده في أحد نوادي الرقص الجديدة في ضاحية المدينة؟ سمعت أن لديهم طعاماً طيباً كما لديهم معاملة خاصة للغرباء من رجال الأعمال، وهناك نعاود الحديث براحة تامة.»

فأجابه عابساً: «لا سبيل إلى ذلك».

ما سمعه عن جيريمي دريسكول أعطاه عنه فكرة سيئة إذ يبدو أنه اعتاد الوصول إلى غرضه بوسائل سيئة. في البداية، حاول ليو أن يستمع إليه لعدم كفاية الأدلة على وضاعته، ولكن بعد التحدث إليه أدرك أنه خارج عن الصواب وكرم الأخلاق. وهكذا اكتشف فيه شخصاً زائف الدماثة وضيعاً، وضايقه ذلك منه بقدر ما كرهه. ولم

يستطع أن يخفي ازدراءه لاقتراح الرجل.

لكن جيريمي درسكول له جلد التمساح، إذ تابع يقول بابتهاج رافضاً التلميح: «لا؟ ربما تفضل ان تستمتع بالنساء في عزلة عن الآخرين. حسناً، أنا واثق من أن بالإمكان تدبير شيء لك...».

كلمة ليو الباردة له بأن ينسى ذلك أرسلت إلى عيني جيريمي الباهتتي الزرقة نظرة كراهية قبيحة: «هناك كثير من العداء في هذه المنطقة بالنسبة الى نيتك في إغلاق أحد المصنعين. ورجل له سمعتك...»

فقاطعه ليو بغيظ: «آه، أظن سمعتي يمكنها مواجهة أية أقاويل».

لاحظ أن ثقته زادت من كراهية جيريمي له، تماماً كما رأى الحسد في عينيه وهو يسوق المرسيدس الجيب.

ومن زاوية عينه لمح الصحيفة التي كان جيريمي يتابع، بكل قلة تهذيب، قراءتها بعد وصوله، هو ليو. كانت هناك مقالة في الصفحة المفتوحة تشرح بإسهاب تفاصيل سقوط سياسي حاول دون نجاح أن يقاضي أولئك الذين كشفوا عن نواح معينة من حياته الخاصة، بما في ذلك زياراته إلى صالة للتدليك. وادعاء السياسي بأنها كانت زيارات لاستعادة صحته لم تقنع القاضي الذي كان ضده.

وقال جيريمي بلؤم وهو ينظر إلى الصحيفة: «لو كنت مكانك لما كنت واثقاً من حسن سمعتي إلى هذا الحد».

لكن ليو نبذه بنظرة، وخرج.

***

قطب ليو جبينه وهو يدخل جناحه. لا يمكن أن يغيّر خططه ولو بعد ألف عام. لقد جاهد طويلاً في تكوين نفسه من لا شيء... بل

أقل من لا شيء، شاقاً طريقه بمخالبه صعوداً ببطء، وحده، حتى بلغ النجاح.

كانت شركة أسرة دريسكول في منافسة مباشرة مع شركة ليو. وحيث أن عملهما كان متماثلاً، كان من الطبيعي أن يغلق بعض مصانعها الأربعة، رغم أنه لم يقرر بعد أيها سيغلق.

دخل ليو الجناح غير مهتم بإنارة المصباح لشعوره بالتعب. في مثل هذا الوقت من مساء حزيران كان ضوء النهار ما يزال كافياً ليريه طريقه، حتى دون ضوء البدر المكتمل هذا.

لكن غرفة النوم لم يكن نورها كافياً بهذا الشكل. هناك من أسدل الستائر، ربما الخادمة، كما رجّح، لكن مصباح الحمام كان مشتعلاً والباب مفتوحاً. قطّب جبينه لهذا الإهمال ثم دخل الحمام وأقفل بابه خلفه.

نظر إلى صورته في المرآة ولامس ذقنه النابتة ثم مد يده إلى موس الحلاقة.

غطرسة جيريمي دريسكول أغاظته إلى حد نبّهه إلى أن تحذير بعض أفراد أسرته وأصدقائه له من أنه يتعب نفسه أكثر مما ينبغي قد يكون على حق.

ضاقت عيناه الفضيتان الثاقبتان المتفحصتان واللتان كانتا تخيفان أي شخص يحاول أن يخدعه، فتجردانه من أي دفاع. كان شعره الأسود الجعد بحاجة ماسة إلى تقصير. لكنه لم يكن الآن يستطيع أن يخصص وقتاً لشيء غير العمل...

اعترف والداه بأنهما لا يفهمان كلياً من أين ورث عقله البالغ التصميم للنجاح هذا، فقد كانا سعيدين بالعمل معاً في وكالة الأنباء

www.elromancia.com

الصغيرة التي يملكانها.

وقد تقاعد والداه الآن، ويعيشان في إيطاليا موطن أمه بعد أن اشترى لهما ڤيلا في ضواحي فلورنسا هدية في عيد زواجهما. وكان ليو زارهما في أيار في عيد ميلاد أمه.

وضع الموس من يده وهو يتذكر النظرة التي تبادلاها عندما سألته أمه إن كان في حياته امرأة. وقد أجابها بسخرية جافة بأن جوابه السلبي لا يعبّر فقط عن الحاضر، ولكنه قد يعبّر أيضاً عن المستقبل.

ردت عليه أمه بخشونة غير معتادة بأنها، في هذه الحالة، ربما حان الوقت لكي تذهب إلى خبيرة الأعشاب الحكيمة في القرية التي، كما تقول الإشاعات، لديها وصفة مدهشة لدواء الحب.

ضحك ليو طويلاً عند ذاك. لم يكن الأمر أنه لا يستطيع ان يجد رفيقة إذا شاء. عدد لا يحصى من النساء الرائعات الجمال أوضحن له، سواء بصراحة أم بتحفظ، أنهن لا يمانعن في أن يشاركنه حياته، وطبعاً، حسابه في البنك... لكن ليو ما يزال يتذكر أن التلميذات في حفلات مدرسته الخاصة كنّ يرفضن الرقص معه عندما يرين رداءه المدرسي الذي كان اشتراه مستعملاً، والذي ينفق والداه عليه من كدحهما في وكالة صغيرة. علمته تلك التجربة درساً صمم على أن لا ينساه أبدا. نعم، كان هناك نساء في حياته. لكنه اكتشف في نفسه نفوراً من العلاقات العابرة. رغم حماقة هذا الرأي بالنسبة إلى بعض الناس، وهذا يعني...

وتذكر بشكل لا إرادي، ردة فعله العنيفة نحو المرأة التي رآها في ردهة الفندق أثناء مروره متوجهاً إلى اجتماعه هذا الصباح.

كانت صغيرة الجسمة ممتلئة القد تحت ثوبها الكئيب الذي كانت

ترتديه.

لم تكن والدة ليو تملك دماً إيطالياً سدى، وككل نساء بلادها، كانت تملك حساً قوياً بما عليها ان تلبس، ما جعل مستحيلاً على ليو أن لا يدرك متى تلبس المرأة كي يبلغ تأثيرها غايته. ومن المؤكد أن هذه المرأة لم تكن تقوم بذلك على الإطلاق، حتى إنها ليست النموذج الذي يفضله.

وإذا شاء ان يفصح عن النموذج الذي يفضله، فهو المرأة الشقراء الهادئة الأنيقة، وبكل تأكيد ليست مثيرة لعوباً ولا سريعة الغضب والحساسية... لا، إنه لا يريدها من هذا النوع من النساء اللاتي يثرن فيه المشاعر العنيفة ويجعلنه يبتعد عن الطريق السوي، فيترك ما عليه عمله ويتحوّل اليها.

لم يحدث قط أن انحرف ليو عن طريق كان يسير فيه، خصوصاً بسبب امرأة.

خلع ثيابه ثم وقف تحت الدوش. في مراهقته، كان يمثّل مدرسته في رياضة «شدّ الحبل»، وما زالت بنيته رياضية حتى الآن. وبفروغ صبر، مدّ يده ليتناول المنشفة. وعندما جفف جسده فتح باب الحمام، وارتدى بيجامته ثم خرج إلى غرفته متجهاً إلى سريره. كانت العتمة قد ازدادت لكن ضوء القمر كان كافياً في تسلله من خلف الستائر.

أزاح غطاء السرير وصعد إليه وإذا به يجمد مكانه وهو يدرك أن سريره مشغول بشخص ما.

أضاء المصباح الجانبي وأخذ يحدّق غير مصدق في الشعر الأسود الجعد على الوسادة... والذي كان رأس أنثى. وكذلك

الذراع النحيلة والكتف المستديرة برقّة.

وتشمّم بأنفه الروماني الذي ورثه عن أمه رائحة الكحول في أنفاس المرأة الغافية.

كما شمَّ رائحة أخرى... هي مزيج من الهواء الدافىء النقي المعطر باللافندر، التي تجاوبت حواسه معها بشكل مختلف تماماً.

إنها الفتاة التي كانت في ردهة الفندق. فهو سيميزّها في أي مكان، أو بالأحرى قلبه يميزها.

وبشكل آلي خطرت له فكرة أخرى. صوت جيريمي دريسكول وهو يقنعه بإعادة النظر بصفقة البيع. أترى هذه الفتاة طريقته التي فكر فيها لإقناعه؟ لا بد أنها كذلك، لأن ليو لم يجد سبباً آخر يفسر به وجودها في سريره!

حسناً، إذا كان جيريمي دريسكول جرؤ على التفكير في أنه، هو ليو، من نوع الرجال الذين...

ومرّ يده بغضب يمسك بذراع جودي بأصابعه القوية ويميل فوقها يهزها لتستيقظ.

كانت جودي مستغرقة في نوم عميق ساعدها الكحول عليه، مستمتعة بحلم لذيذ للغاية، كانت فيه بين ذراعي أروع الرجال وأكثرهم جاذبية. كان طويلاً أسود الشعر فضي العينين، وذا ملامح مألوفة لها. وعندما مال عليها يمرّ بأصابعه على ذراعها، همس يسألها: «ما الذي تفعلينه في سريري بالله عليك».

كان ذهنها ما يزال تحت سيطرة كوكتيل العصير مع الكحول، ففتحت عينين رائعتين شاردتين.

لماذا يبدو حبيبها غاضباً بهذا الشكل؟ منحته ابتسامة ناعسة

وأوشكت أن تسأله عن ذلك، ولكن، لأمر ما، تركّز انتباهها على وجهه الحبيب.

وأغمضت عينيها ثم عادت تفتحهما بسرعة، متلهفة ألا تفوتها رؤية هذا الوجه. أخذت تنظر إلى حركة عنقه وهو ينحني عليها، وعصب ساعديه القويتين المليئتين بالرجولة بحيث لم يكن عليها سوى أن تمدّ أصابعها تتلمس أقرب ساعد له إليها، متعجبة من الفارق بين ملمسها وملمس ساعدها هي. لم يصدق ليو عينيه... هذه المتطفلة في سريره تتجاهل بوقاحة سؤاله الغاضب ثم تجرؤ على لمسه! ولكن الغريب أنه شعر بهذه اللمسة البسيطة وكأنها تسري في دمه وشعر بأنه لم يعد يمانع في وجودها. ما كانت تفعله، تباً لها، هو إغراء... له!

جاهد بقوة للسيطرة على نفسه. والتحكم بالنفس كان مبدأه في حياته، لكنه ذُهل وهو يشعر بالهزيمة، ليس بالنسبة إلى حملة عسكرية بل إلى الحرب بأكملها!

لكن جودي اشتعلت الآن بشيء أكثر سحراً وغموضاً بكثير، وأقوى بكثير، كما كانت غافلة كلياً عن كل شيء ما عدا هذا الحلم الرائع الذي وجدت نفسها فيه.

عندما كانت تلمسه كانت تشعر بقلبها يخفق خفقات قوية غير عادية.

كانت محظوظة في وجودها هنا معه في هذه الجزيرة الخاصة الرائعة. مالت عليه برقة تضمه فشعر بأن الحياة تنبض في كيانه من جديد.

لم يستطع ليو أن يصدق تأثير هذه المرأة فيه. لم يدر ما يفعل!

www.elromancia.com

فكأن هذه المرأة ساحرة ألقت شباكها عليه فأسرته إليها إلى الأبد.

حتى في جو الغرفة نصف المظلم، تمكن من رؤية وجهها الجميل. جف حلقه بتوتر غاضب وهو يشعر بقلبه يرتجف ولم يستطع أن يمنع يديه من أن تضماها إليه فابتسمت.

ـ آه، ما أروع أن أكون بين ذراعيك!

همست له بهذا هي تغمض عينيها مستسلمة للأحاسيس التي تعصف بقلبها.

ولم يكد يصدق تجاوبها معه. حاول أن يذكّر نفسه بأنها هنا لهدف في نفسها، فهي تقوم بعمل استؤجرت له. لكن حواسه كانت من الخدر بحيث لم تسمح له بأن يفكر بشكل عقلاني.

أدرك حينذاك، في تلك الثانية السريعة التي رآها فيها في ردهة الفندق، أن بإمكانها أن تؤثر عليه بهذا الشكل، وأنه سيرغب فيها بهذا الشكل، مهما حدثه به ضميره.

مديحها الأنثوي الهامس الرقيق له لا بد أنه متعمّد ليعطي أكبر تأثير على غرور الرجل... أي رجل، كما حاول أن يذكّر نفسه. لكنه، مع ذلك، لم يستطع أن يمتنع عن الرغبة فيها.

لم يستطع ليو أن يفهم كيف يسمح لنفسه بأن يتأثر بامرأة إلى هذا الحد. إنه ضد كل ما يؤمن به. لم يعرف قط في حياته مثل هذه المشاعر العنيفة الخالية من التعقل، والتي تدفعه إلى أخذ ما تقدمه هذه المرأة له.

كل حاسة من حواسه كانت تستجيب لها بلهفة، ولكن عقله كان ينهره وينذره من أن هذا كله وهم، عواقبه وخيمة.

كان يشعر برقتها وبراءتها... ولكنه ضحك من نفسه،

براءتها... هذه المرأة بريئة! يا لي من غبي!

شيء في أعماق ليو أدرك أن هناك شيئاً عليه أن ينتبه إليه... شيئاً هاماً يحاول جسده أن يخبره به... شيئاً عن عنف هذه المشاعر... عليه أن يبتعد... لن يدع جيريمي ينتصر عليه... لن يخضع لسحر هذه المرأة... واستطاع أخيراً أن ينفض نفسه ويبتعد عنها ولكنه شعر وكأنه إنسان طرد من الجنة... عليه أن يكون أقوى من هذه المشاعر الفتاكة... عليه أن يبتعد... فهو شخص لا يحبُ الندم.

رآها تستلقي على السرير وتقول بلهجة نعسة: «لماذا تتركني يا حبيبي؟».

وعندما نظر إلى عينيها، أغمضتهما ثم استغرقت في النوم، بكل براءة وسرعة طفلة.

أخذ يتأملها بشرود. لم يكن يشك في أنها عميلة اشتراها جيريمي درسكول بنقوده.

وهو كاد يسقط في الفخ الذي نُصب له كأحمق معتوه.

جيريمي لم يكن ذلك الشخص المحب للغير، ليس بأي شكل أو طريقة. وهو، ليو يعلم أنه لم يخطىء في رؤية الكراهية والحسد في عيني ذلك الرجل ذلك الصباح. كان جيريمي يعلم أن ليو لا يمكن أن يغيّر رأيه. إلا إذا كان لديه، هو جيريمي، وسيلة يرغمه بها على ذلك. والآن تذكر ليو المقالة في الصحيفة التي كان يقرأها جيريمي دريسكول.

بالنسبة إلى رجل في مركزه، وأعزب، وامرأة تبيع قصتها معه لصحيفة محلية. لن يحطمه هذا، لكنه سيكون أضحوكة للناس

www.elromancia.com

لسذاجته وسهولة انخداعه ما يفقده احترام الآخرين في دنيا الأعمال. وإذا حدث هذا لن يمكن بعد ذلك أن يعوّل على المساندة والثقة التي اعتادها من الآخرين. ليس ثمة رجل أعمال، حتى وان كان بنجاح ليو، يرغب في ذلك. عليه أن يرميها الآن خارجاً... حتى لا يتسنى لها اختراع قصة لهذا وهو سينكر أنه رآها.

نزل من السرير وهو ينظر إلى جودي بمرارة. كيف يمكنها أن تنام آمنة بهذا الشكل؟ وكأنها... لم يستطع أن يمنع نظره من أن يستقر على وجهها الذي كان مبتسماً بدفء. حتى أثناء نومها كانت تحاول أن تدّعي البراءة. ولكن، من ناحية أخرى، لا شك في مهارتها كممثلة، فهذا هو دورها.

اندفعت إلى ذهنه بقسوة حقيقية هذه المرأة. كان سلوكه غريباً وسرعة انجذاب قلبه إليها أغرب، ولكنه حمد ربه لأنه استطاع ألا يترك الأمر يخرج عن السيطرة. كان ما زال يقف بجانب السرير مداوماً على النظر إليها، بينما المفروض أن يكون الحافز الأقوى فيه هو أن يقف تحت دوش شديد الحرارة بحيث يغسل عن جسده وحواسه شعوره بها. ولكن، لسبب غير مفهوم وجد ذلك آخر ما يريده...

استطاع، في الوقت المناسب، أن يمنع نفسه من أن يمد يده ويلمسها، أن يلامس وجنتها الرقيقة بأصابعه، وكذلك أهدابها الكثيفة الطويلة، والأنف الصغير المستقيم، والشفتين الناعمتين الممتلئتين.

وكأنما شعرت بأفكاره، انفرجت شفتاها عن آهة، وعادت إلى شفتيها ابتسامة جميلة.

ما الذي يفعله في تركه لها تنام هنا بهذا الشكل؟ إن لديه الحق

في أن يوقظها ثم يطردها إلى الخارج. نظر إلى المنبه فوجد أن الساعة الثانية صباحاً، فحدث نفسه بأن شعوره الغريزي بالمسؤولية يمنعه من أن يفعل ذلك.

من غير المأمون، بالنسبة الى امرأة، أي امرأة ولو كانت مثلها، أن تدور وحدها في الشوارع في هذا الوقت من الليل، فقد يحدث لها أي شيء! ولكنها ستستغل ذلك وتؤلّف ما بدا لها. لا! لا يستطيع أن يرميها خارجاً.

ذهب إلى الحمام وأحضر معطفاً منزلياً عائداً للفندق ثم اتجه إلى غرفة الجلوس بعد ان أغلق باب غرفة النوم خلفه، ثم أشعل الضوء.

أول ما رأى هو ابريق العصير الممزوج بالكحول والفارغ تقريباً والكأس الذي شربت جودي منه.

أزاح ذلك إلى جانب، عابساً. حتى أنها من الوقاحة بحيث طلبت لنفسها شراباً، لأنها كانت بحاجة إلى الشجاعة التي تحتاجها لتذهب معه إلى السرير.

حذر نفسه من الوقوع في فخ الشعور بالأسف لأجلها، ومن اختلاق الأعذار لها. كانت تعرف ما تفعله بالضبط... وعبس وهو يتحرك في كرسيه بضيق.

إنه مستيقظ تماماً الآن ولديه أعمال عليه أن ينجزها. وعندما تستيقظ تلك التي أغوته، سيدور بينهما حديث قصير حاد.

لا سبيل إلى أن يسمح لجيريمي دريسكول بأن يبتزه لكي يتراجع عن الصفقة.

وتناول حقيبة أوراقه، وهو ما زال عابساً.

* * *

٢ ـ ليته كان حلماً !

أخذت جودي تفرك عينيها شاعرة بالاشمئزاز من مذاق الحموضة في فمها. كان رأسها يؤلمها.

حركته بحذر، فتملكها الندم بعد أن أخذ صدغاها ينبضان بألم عنيف. ومدّت يدها بحركة غريزية إلى المنضدة بجانب السرير وإذا بها تدرك أنها ليست في سريرها.

أين هي إذاً بالضبط؟ وإذا بذكريات ضبابية وصور وأصوات تتواتر إلى ذهنها بشكل خطير. ولكن لا، هذا غير ممكن! ونظرت بذعر إلى الناحية الأخرى من السرير، وخفّت دقات قلبها عندما رأت المكان خالياً.

كان ذلك مجرد حلم لا غير... حلم مذهل غير مقبول. ولم تستطيع أن تتصور كيف، ولماذا... ولكن... وجمدت وهي ترى أثر رأس آخر على الوسادة بجانب رأسها.

ما كان ذكرى غامضة أصبح أكثر حدة وصفاء مع كل خفقة قلقة من قلبها. كان هذا صحيحاً! هنا في هذه الغرفة وفي هذا السرير. أين هو؟ ونظرت إلى الحمام متوترة وعلى الفور شرد ذهنها تفكر... ماذا حدث البارحة؟ كل شيء في ذهنها ضبابي... تذكر أن هناك رجلاً كان هنا... وماذا بعد؟

تلهفت إلى أن تغتسل وتغسل أسنانها وتمشط شعرها لكنها لم تجرؤ على ذلك. الذكريات أصبحت واضحة الآن تفرض نفسها على ذهنها الذي صدّعه الكحول. لم تستطع أن تفهم ما الذي حدث؟

ذكرت نفسها باشمئزاز، بأنها كانت تشرب عصيراً. ومهما كان ممزوجاً بذلك العصير الذي أرسلته اليها غرفة الكوكتيل في الفندق فقد حوّلها بشكل ما، من امرأة محافظة إلى... عابثة.

عابثة! وجمدت جودي. حسناً، ولكن ماذا حدث؟ لا تظن أن شيئاً حدث... إنها لا تذكر.

تناولت حقيبة يدها ثم سارت على أطراف أصابعها إلى باب غرفة النوم بهدوء.

***

كان ليو يتساءل لتوّه إلى متى تنوي ضيفته البقاء في سريره، وما إذا كانت الساعة الخامسة وقتاً مبكراً لطلب الإفطار من غرفة الخدمة، عندما وصلت جودي إلى باب غرفة النوم.

رغم أنه كان متلهفاً إلى النوم، كان مصمماً بعنف على عدم العودة إلى سريره أثناء وجودها فيه.

حتى الآن، بعد حوالى ثلاث ساعات من العزلة، ما زالت نفسه تحدثه بالعودة إلى سريره، بالعودة إليها ليكمل ما بدأه.

شعر بجاذبيتها عندمارآها في الردهة صباح أمس، لكن معرفته بما كانت تريده قد حطّم ذلك تماماً. وأجفل حين رأى باب غرفة النوم ينفتح.

في البداية، إذ كانت مصممة على أن تهرب، لم تره جودي وهو يقف دون حراك أمام النافذة.

كان ضوء النهار قد انتشر الآن صافياً نقياً، وعندما أدركت أنه موجود، توهج وجهها بلون حواشي السحب الوردية خلف النافذة.

سمعها ليو تشهق بشكل لا إرادي ورأى النظرة السريعة القانطة التي ألقتها على الباب الخارجي، المنفذ الوحيد إلى الخارج، وإذ توقع هربها اندفع إلى الباب فوصل إليه قبلها وسدّه بجسده يمنعها من ذلك.

عندما رأته بوضوح شعرت بالارتباك يحرقها حتى الأعماق. إنه هو! الرجل الذي رأته في ردهة الفندق، الرجل الذي فتنها بجاذبيته!

ومن زاوية عينها رأت صينية الكوكتيل المعلومة.

قال بلطف: «نعم، ليس فقط إنك دخلت إلى جناحي بشكل غير قانوني، ولكنك كنت من الوقاحة أيضاً بحيث وقعت فاتورة خدمة الغرفة. أتنوين أن تدفعي شخصياً أجرة استعمال السرير والشراب، أم تفضلين أن أرسل الفواتير إلى جيريمي دريسكول؟»

كانت جودي تنظر إلى إبريق الكوكتيل بكدر صامت فالتفتت إليه بحركة آلية وهي تسمع اسم أكره أبناء قريتها إليها.

سألته مترددة: «جيريمي؟»

قد يملك والد زوجة جيريمي دريسكول المصنع المحلي، وقد يكون جيريمي هو مديره، ولكن ذلك لم يجعلهما محبوبين في المنطقة. كانت له سمعة بأنه ماكر خدّاع. حاول مرة أن ينشر في القرية عادات خطرة ضارة لولا أن أوقف ذلك قوى الأمن واتحاد العمّال.

أما علاقته بوضعها الحاضر المذلّ، فهذا ما لا فكرة لها عنه. وأجاب محاكياً بعدم لباقة لهجتها القلقة المرتجفة: «نعم، جيريمي.

وأنا أعرف بالضبط ما يحدث، وسبب وجودك هنا، ولكن إذا أنت ظننت للحظة واحدة بأنني سأسمح بأن أكون موضع ابتزاز لكي أذعن... كنت قادراً على رميك قبل الآن ولكني إنسان فلم أستطع أن أرميك خارجاً في الليل..»..

شعرت جودي بغصة في حلقها لشعورها بالعار. هل يعتقد ليو جفرسن، ولا بد أن هذا هو نفسه، حقاً أنها امرأة وضيعة؟ استعماله كلمة (ابتزاز) صدمها بشكل خاص. ولكن هل أسهل عليها أن تحتمل الحقيقة من الاعتراف بها لشخص آخر؟ وهل من الأفضل أن تقول إنها كانت ثملة، ولو مصادفة؟

أن تذهب إلى السرير مع رجل غريب تماماً، ولكن ما الذي حدث؟ لم تستطع أن تقول شيئاً لأنها لا تدري... ما حدث لها، لا تدري...

وارتجفت وهي تفكر في ما سيقوله عنها بعض آباء تلامذتها الصغار، دون ذكر مجلس إدارة المدرسة، لو أنهم عرفوا أنها قضت ليلة كاملة في غرفة رجل.

وكان ليو يقول لها بحقد: «حسناً، يمكنك العودة إلى ذلك الذي يدفع لك الأجر وتخبريه بأن خطته باءت بالفشل لأنني لم أغتر وأمضي معك لما كان يشتهي، فأنا ما زلت لا أريد أن ألغي العقد وأسمح له باستعادة المصنع. لا أدري ما الذي سيكسبه من وراء دفع أجر لك لكي تنامي معي، ولكني رفضتك رغم إغرائك. وإذا كان يظن أن بإمكانه استعمال هذا ضدي بطريقة ما..».

وهز كتفيه مظهراً عدم اهتمامه بينما هو يراقبها خلسة ليرى ردة فعلها إزاء لا مبالاته المصطنعة. شعرت بالراحة... لم يحدث شيء

www.elromancia.com

إذن! ومع ذلك خافت من قوة لهجته، وبدت في عينيها نظرة ربما في ظروف أخرى كان ليو ليصفها بالقلق والرهبة.

جاهدت لتسيطر على اضطرابها وتفهم ما كان ليو جفرسن يقوله. ستتجنب التفكير في إهانته القاسية لها بهذه التعليقات الشخصية، فهي أشياء عليها أن تفكر فيها ملياً على انفراد. ولكن إشارته إلى جيريمي درسكول واتصالها المفترض به، كانت محيرة تماماً.

همّت بأن تقول هذا. ولكن قبل أن تنطق بكلمة هتف: «لا أدري من أنت ولماذا لا تبحثين عن طريقة للعيش أقل دماراً وحقارة من هذه؟»

تجاهلت الجزء الأخير من كلامه، شاعرة بالارتياح لقوله: (لا أدري من أنت)

إذا كان لا يعرف من هي، فهي لن تخبره حتماً. وإذا ساعدها الحظ قد تتمكن من إنقاذ كرامتها وسمعتها وذلك بتوخّي الكتمان البالغ حتى لا يعلم سواهما بأنها أمضت ليلة في غرفة رجل.

تخلت عن أي تفكير في ملاحقة مهمتها. وكيف يمكنها أن تتوسل إليه لأجل مستقبل مدرستها الآن؟ وهذا عبء آخر من الشعور بالذنب أصبح يثقل كاهلها. إنها لم تنحدر بنفسها ومستواها فقط، بل تخلت عن المدرسة وتلامذتها أيضاً. وما زالت لا تفهم تماماً ما أصابها. نعم، لقد أسرفت في الشراب، ولكن من المؤكد أن ذلك وحده...

وفكرت في مقدار تأثرها بليو جفرسن عندما رأته يسير في ردهة الفندق مساء أمس. لم تكن حينذاك تعرف من يكون بالطبع... كانت فقط ... كانت قد رأته جذاباً...

دار رأسها وهي تفكر فيه... لقد حاولت إغواءه ولكنه رفضها وملأها الخزي والعار بأكثر مشاعر اليأس وعدم التصديق كآبة.

***

صمتها المستمر وعدم جوابها ما هما إلا خطة مربية للنجاح، كما فكر ليو وهو يراقبها، أما بالنسبة إلى الصدمة والانزعاج اللذين رآهما في عينيها... حسناً، إنها ممثلة بارعة حقاً!

- علي أن أذهب. دعني أمّر، أرجوك.

صوتها الأجش الرقيق حرّك مشاعره من جديد. ماذا حدث له بحق الله؟

رغم أنه لم يبتعد عن الباب، إلا أنها تقدمت نحوه، بقدر ما أمكنها من تصميم، مذكرة نفسها بأنها، وقد اعتادت على مواجهة غرفة مليئة بالتلامذة المراهقين مثيري الفوضى من الجنسين، من المؤكد أن بإمكانها أن تواجه مجرد رجل. استعمالها كلمة (مجرد) في وصف هذا الرجل بالذات أرسل شبه ضحكة ألم دون بهجة في حلقها.

هذا الرجل لا يمكن أن يكون (مجرد) أية صفة... هذا الرجل...

إنها شجاعة كما اعترف ليو حين نظرت بهدوء إلى خلفه، ولكن لا شك أن مهنتها المختارة تعني أنها غير غريبة عن التملص من القانون.

احتجازها بالرغم عنها كان ضد مبدئه، رغم كراهيته لتركها تخرج دون أن يخبرها برأيه فيها وبمن يدفع لها أجراً.

ثانية أخرى وتصبح معه وجهاً لوجه، كما أدركت جودي وهي ترتجف كدراً عندما سمح لها ليو أخيراً بالتقدم إلى الباب. تنفست

بعمق ثم مدت يدها إلى مقبض الباب.

انتظر حتى أدارته قبل أن يقول عابساً: «قد يظن دريسكول أن هذا عمل ماهر منه، ولكن أخبريه عني أن الأمر ليس كذلك. آه، كلمة فقط للتنبيه لك شخصياً... أية محاولة لنشر الإدعاء بأنك أمضيت ليلة في غرفتي... وسأجعلك تعانين من السخرية عشرة أضعاف ما سأعانيه».

لم تستطع أن تقول شيئاً، فقد كانت هذه أشد ما مرّ بها في حياتها من التجارب إيلاماً وخزياً. ولكن يبدو أن ليو جفرسن لم ينتهِ منها بعد، لأنها عندما خرجت إلى ممشى الفندق، أمسك بالباب واضعاً يده على يدها بقبضة، هي أشبه بوحدة كهربائية عنيفة تخللت جسدها وأحرقته.

ـ طبعاً، إذا كنت ماهرة حقاً، يمكنك أن تختلقي قصة وتبيعينها لمن يدفع لك أغلى ثمن.

لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تسأله: «ماذا... ماذا تعني؟».

وجعلتها ابتسامته الساخرة الشامتة ترتجف: «ما أعنيه هو أنني مدهوش لأنك لم تحاولي أن تساوميني على دفع مبلغ مقابل سكوتك أعلى من المبلغ الذي دفعه لك دريسكول لقاء خدماتك، فمع أنه لم يحدث شيء إلا أنك قادرة أن تتهميني بالاعتداء عليك. هل هناك مبلغ تخططين لطلبه؟».

ولم تصدق جودي ما تسمعه.

ـ أنا لم... أنا لا...

أخذت غريزياً تدافع عن نفسها، قبل أن تهز رأسها وتقول بعنف: «ليس هناك مبلغ من المال يمكنه أن يعوضني عما... عما

أشعر به».

وقبل أن يقول أو يفعل أي شيء يؤذيها أكثر، سلخت يدها من يده وركضت في الممشى نحو المصعد.

وقفت فتاة ترتدي ثوب مستخدمات الفندق تنظر إليها وهي تغادر جناح ليو، لكن جودي كانت من الاستغراق في خواطرها بحيث لم تلاحظها.

وقف ليو ينظر إليها غاضباً غير مصدق. أي أحمق تظنه وهي تتظاهر أمامه بهذه العفة والتحفظ؟

***

تملك جودي الارتياح لعدم انتباه أحد إليها وهي تجتاز ردهة الفندق بسرعة متجهة إلى باب الخروج، وهم الذين اعتادوا رؤية النزلاء يروحون ويجيئون طوال الوقت.

نصحت نفسها بأن تتوقف عن التفكير في هذا الأمر وهي تخرج إلى نور شمس الصباح المتألق. أول ما ستفعله عندما تصل إلى بيتها هو أن تستحم وثانياً أن تكتب الرسالة التي سترسلها إلى ليو جفرسن، تبسط أمامه الحالة التي تستوجب أن يبقى المصنع مفتوحاً... بعد أن لم يعد هناك سبيل إلى القيام باتصال شخصي معه الآن! وثالثاً أن تذهب إلى سريرها وتنام، بعد أن تنفي من ذهنها بحزم تام هذا الرجل، وتدفعه إلى قسم من ذاكرتها حيث تدفنه فيه فلا يصل إليه أحد!

***

فتحت جودي باب كوخها الصغير الواقع في صف مؤلف من ثمانية أكواخ كانت بنيت في القرن الثامن عشر، أمام كل منها حديقة

جميلة صغيرة للغاية تطل على شارع القرية وعلى مروج خضراء من الخلف. وبعد أن أقفلت الباب خلفها بعناية، صعدت إلى الطابق الأعلى.

كان صوت جرس تليفونها هو الذي أيقظها أخيراً فمدت يدها ترفع السماعة وقد تملكها الذعر وهي ترى في ساعتها أن الوقت تجاوز العاشرة. وعادة في هذا الوقت من صباح السبت تكون في المدينة تتسوق مؤونتها الأسبوعية ثم تنضم إلى أصدقائها لتناول الغداء.

ولكنها لم تكن قد قامت بأية ترتيبات لهذا النهار حيث أن أغلب صديقاتها كن في إجازات مع أسرهن.

تملكها التوتر وهي تمسك بالسماعة رغم أنها تعلم أن من المستحيل أن يكون المتكلم هو ليو جفرسن. ذلك أنه لم يعرف من تكون والحمد لله! وسرت في جسدها قشعريرة خفيفة من الإثارة سرعان ما تبعها فيض قويّ من شيء لن تسمح لنفسها بأن تدعوه خيبة أمل عندما أدركت أن المتكلم هو ابن عمها نايجل.

لا عجب، بعد كل ما عانته، أن تكون مشاعرها في حالة غير طبيعية من عدم الاتزان.

- أخيراً، إنها المرة الثالثة التي أتصل بك فيها. كيف سار الأمر مع ليو جفرسن؟ أنا متلهف لأعلم.

تنفست بعمق وابتدأ قلبها يخفق عندما تملكها الشعور بالذنب والخزي. عرقت يداها. لم تكن قط كذابة بارعة.

- لم يحدث شيء.

- هل جبنت؟

تنفست الصعداء فقد أعطاها جواباً ممتازاً لمأزقها.

- كنت... كنت متعبة، ثم غيّرت رأيي... و...

وقبل أن تخبره بأنها ستكتب إلى ليو جفرسن بدلاً من التحدث إليه، قاطعها قائلاً: «كنت أعلم أنك لن تتابعي الأمر. لا بأس. لقد جاء العم نايجل لنجدتك. لقد دعاني رئيسي الليلة الى العشاء، وسألته إن كان بالإمكان أن أحضرك معي. سيتحدث إلى ليو جفرسن بنفسه الأسبوع القادم، وإذا أنت عرضت عليه قضيتك أنا واثقة من أنه سيضيف قضية المدرسة إلى حديثه».

- آه، يا نايجل! هذا لطف كبير منك. لكنني لا أظن...

لم تكن في مزاج مناسب لحفلات العشاء، أما بشأن فكرة وضع قضية مدرستها في عهدة رئيس نايجل الذي كان رئيس مكتب التخطيط في المنطقة... كانت فكرتها عن مصداقيتها ضعيفة للغاية إلى حد لم تشعر بنفسها صالحة للقيام بهذا الأمر.

لكن نايجل أخبرها بأنه لن يقبل منها رفضاً: «عليك أن تأتي! غراهام يريد أن يتعرف إليك. إن حفيده أحد تلامذتك، وهو من المعجبين بك، أعني الحفيد وليس غراهام..».

- نايجل، لا أستطيع الذهاب.

- بل تستطيعين، يجب أن تأتي. فكري في مدرستك. سآتي لأخذك الساعة السابعة والنصف، كوني جاهزة.

وأقفل الخط قبل أن تقول شيئاً.

تفحصت جودي شاشة جهازها الكمبيوتر بملل. أمضت معظم فترة العصر محاول إرسال رسالة إلى ليو جفرسن. كان صداعها قد زال، ولكن في كل مرة حاولت فيها التركيز على ما عليها أن تفعله،

www.elromancia.com

كانت تتكون في ذهنها صورة ليو.

احمّر وجه جودي عندما حدقت في الشاشة فأدركت أنها قد ابتدأت تكتب رسالتها (عزيزي ذا العينين المثيرتين).

مسحت هذه الكلمات بسرعة ثم ابتدأت مرة أخرى، مذكرة نفسها بمبلغ أهمية جعل ليو جفرسن يدرك أن إغلاق المصنع لا يؤثر فقط على مدرستها بل على القرية بأكملها.

في كل أنحاء الريف كانت القرى الصغيرة تموت أو تصبح مجرد أمكنة يقضي فيها عمال المدينة عطلهم الأسبوعية، رغم أن كل شخص هنا في منطقتهم قد جاهد لجعل قريتهم حية عاملة.

إذا استطاعت أن تكسب رئيس نايجل إلى جانبها فهذا سيساعد قضيتهم. قطبت جبينها قليلاً وهي تدفع كرسيها بعيداً عن الكمبيوتر. عليها أن تجاهد الآن لأجل بقاء مدرستها. عندما عيّنت في البداية مديرة لها، أخبرتها السلطة التعليمية أن ذلك سيكون لفترة مؤقتة فقط، حيث إن المدرسة ستقفل في النهاية كغيرها من المدارس التي تغلق كل يوم.

ورغم علمها بأنها ستنال ترقية وراتباً أفضل إذا هي انتقلت إلى مدرسة أكبر، أخذت تبحث بعزيمة بالغة عن تلامذة جدد، حتى إلى حد إقناع والديهم الذين سبق وصمموا على التعليم الخاص لأبنائهم، بأن يدعوا هؤلاء يحصلون على تعليمهم الابتدائي محلياً.

نجحت جهودها في أكثر من مجال، وأدركت أنها لن تنسى أبداً ما شعرت به من زهو عندما استلمت مدرستهم تقريراً ممتازاً بعد زيارة تفتيشية.

لكن زهوها لم يكن إلى هذا الحد بنفسها، بقدر ما هو بجهود

التلامذة وبكل من دعم المدرسة. وأن ترى كل ما أنجزوه يذهب هباء، كان أكثر مما تطيق.

لقد أثبتت كيف أن الأولاد ينتعشون ويتعلمون جيداً في جو من الأمان والحب. كانت جودي مقتنعة بأن ثقتهم بأنفسهم منذ البداية منحتهم شيئاً سيعينهم مستقبلاً في مسيرتهم العلمية. ولكن محاولتها أن تشرح كل هذا لليو جفرسن كانت أصعب كثيراً مما كانت تتوقع.

ربما ذلك لأنها اشتبهت في أنه سبق وقرّر أمره، وأن هذه القرية، التي سيدمّرها، لا تقاس بما سيربحه، أو ربما لأن كل ما يمكنه التفكير فيه وكل ما يمكنها هي أن تراه، هو الليلة الماضية وما رافقها من أحداث.

توترها كان يمنعها من التركيز، وأخذت تذرع غرفة جلوسها باضطراب عاطفي عنيف.

الساعة السادسة تقريباً ورسالتها لم تنته بعد، ولكن عليها أن تتركها الآن ثم تبدأ بالاستعداد للعشاء.

نايجل يزعج نفسه كثيراً لأجلها، وعليها أن تشعر بالشكر له، ولكن بدلاً من ذلك، كل ما تريده هو البقاء في البيت والاختباء عن العالم.

***

٣ ـ درس في الأخلاق

عبس ليو وهو يمرّ بيده على ذقنه المحلوقة لتوّها. لم يشعر برغبة للذهاب إلى ذلك العشاء، ولكن عندما اتصل به غراهام جونسون رئيس مكتب التخطيط في المنطقة، ودعاه إلى بيته، شعر بأنه لا يستطيع الرفض.

كان تصرفاً عملياً جيداً أن يؤسس علاقات مودة مع السلطة المحلية، وكان ليو سبق وتعرف إلى غراهام وأحبه، وعندما أخبره غراهام أن هناك امرأة سيسره أن يعرفها على المستوى الرسمي شعر ليو أن غراهام لن يكون مسروراً منه إذا هو رفض الدعوة. على الأقل، سينسيه هذا التفكير في الليلة الماضية وفي تلك المرأة الحقيرة بشكل لا يُنسى التي أثرت عليه بشكل خطير.

حتى الآن، لم يحاول جيريمي دريسكول الاتصال به، فقد فشلت خطته ولم يحقق مبتغاه. ولكنه أخطأ عندما تركها نائمة ليلة كاملة في غرفته... فقد يستغل جيريمي دريسكول الأمر.

أترى دريسكول يستفيد هو نفسه من مهارات معذبته ذات الشعر الأسود الجعد؟ وذهل ليو وهو يكتشف مبلغ كراهيته لهذه الفكرة. أتراه جن بهذا الشعور التملكي نحو امرأة بهذا الشكل؟ امرأة يمكن لأي رجل أن يتملكها؟

***

ـ جودي، أنت لا تصغين إليّ.

فنظرت إليه جودي معتذرة وهو يوقف سيارته أمام بيت رئيسه.

ـ أنت لا تبدين طبيعية. أتراك قلقة على مدرستك؟

تجاهلت سؤاله وتنفست بعمق، مصممة على مشاركته الموضوع الذي يثقل ذهنها: «نايجل، أي شيطان تملكك فجعلك ترسل إليّ ذلك الكوكتيل الليلة الماضية؟ أنت تعلم أنني لا أتعاطى الشراب، ولأنه لم يخطر لي أنه مزيج بالكحول... حسناً، كان يحتوي على فاكهة كثيرة..».

فقاطعها بحيرة: «هيه، انتظري لحظة. أنا لم أطلب لك أي شيء فيه كحول».

ـ حسناً، هذا ما أحضره النادل إلى جناح ليو جفرسن.

ـ لا بد أنهم أساؤا فهمي. لقد طلبت إرسال كوكتيل فواكه وكان غالي الثمن... فيا للخسارة! أراهن على أنك لم تلمسيه بعد أول جرعة، أليس كذلك؟

لحسن الحظ، قبل أن ترغم على الكذب عليه، أمسك بذراعها وسار بها بحزم إلى باب البيت الذي انفتح حين وصولهما ليظهر منه مضيفهما غراهام جونسون وهو رجل طويل أشيب الشعر حار الابتسامة.

هز يد جودي قائلاً: «لا بد أنك جودي. سمعت الكثير عنك».

وعندما نظرت إلى نايجل بجفاء ضحك مضيفهما: «لا، ليس من نايجل، رغم أنه أتى على ذكرك. كنت أشير إلى حفيدنا هنري. إنه أحد تلامذتك ومعجب متحمس، ولديه الحق في ذلك حسب قول

والديه. ابتنا شارلوت معجبة تماماً بالتحسن المثير الذي أحدثته المدرسة في مهارة هنري في القراءة».

ابتسمت جودي شاكرة مديحه هذا، وابتدأ توترها يخف قليلاً وهما يتبعان غراهام إلى داخل المنزل.

رحبت بها ماري جونسون هي أيضاً، مخبرة جودي بأنها هي أيضاً كانت معلمة، رغم أنها تركت المهنة منذ وقت طويل.

- قلقت ابتنا قليلاً في البداية عندما سمعت بأنك تؤيدين المزج بين نظرية التعليم التقليدية والألعاب التربوية. لكنها أصبحت معجبة تماماً الآن، فهي لا تنفك تحدثنا عن تحسن مواهب هنري بالنسبة إلى قدرته على القراءة.

فقالت جودي: «إننا نحب أن نشجع تلاميذنا من كل النواحي. إننا نشعر بمعنوياتنا ترتفع إذا استطعنا تشجيع كل تلميذ على اكتشاف المجال الذي يتمكن من العمل فيه جيداً».

- فهمت من ابنتي أنك تجعلين بعض الآباء يسجلون أسماء أولادهم في المدرسة حال ولادتهم تقريباً.

فضحكت جودي: «حسناً، ربما ليس بهذا الشكل تماماً، لكننا حتماً وجدنا صيتنا ينتشر من فم إلى فم. إننا فوق الحد الأدنى الذي نحتاجه لنرضي السلطة التعليمية بالنسبة إلى التلاميذ، ومن المحتمل أن نبقى كذلك إلا إذا أقفل المصنع أبوابه طبعاً».

نظرت جودي إلى غراهام متسائلة وهي تقول ذلك، فقال بلطف: «القرار النهائي يعود إلى ليو جفرسن وهذا هو سبب دعوتي له للعشاء معنا الليلة. كانت هذه فكرة نايجل وهي جيدة حقاً، فقد تنجح الأمور إذا التقيتما معاً بشكل غير رسمي. وأظن أنه، من وجهة نظره بصفته

رجل أعمال، لم يفكر جفرسن في تأثير إغلاق المصنع على مدرسة القرية. وطبعاً، ليس ثمة ما يمنع من إبقاء المصنع مفتوحاً، لأنه كما فهمت، من أربع مصانع لن يقفل سوى مصنعين».

لم تكن جودي تصغي إليه فقد توقفت عن الإصغاء بشكل كامل منذ اللحظة التي نطق بها بتلك الكلمات المخيفة (دعوته للعشاء معنا الليلة).

ليو جفرسن سيأتي إلى هنا الليلة للعشاء وستضطر إلى الجلوس معه في نفس الغرفة، وربما مقابلة له على المائدة.

شعرت بالغثيان، وبأنها مشلولة من الخوف. وانتبهت حين قرع الجرس وسار غراهام لفتح الباب.

نظرت بذعر إلى الباب المؤدي إلى الشرفة متلهفة للهرب منه، لكن الوقت كان قد فات، فقد عاد غراهام إلى الغرفة يرافقه ليو جفرسن... الرجل الذي نامت في سريره.

***

كان ليو يصغي بأدب إلى مضيفه وهو يسير به إلى غرفة الجلوس، ثم يفتح الباب ويشير إلى ليو بالدخول، ثم يتبعه ليقدمه إلى الجالسين. ولكن في اللحظة التي خطا ليو فيها من العتبة، لم يعد يسمع كلمة مما كان غراهام يقوله، وهو يحدق إلى جودي باستنكار عنيف.

كانت تقف بجانب باب الشرفة، تنظر إلى العالم بأجمعه وكأنها شهيدة على وشك أن تؤخذ لقطع عنقها، وعيناها متسعتان للغاية يملأهما الغم وقد أخرسها الخوف.

ما الذي يجري؟ ولماذا هي هنا؟ ثم أدرك ليو أن غراهام يقدمها

إليه بصفتها مديرة المدرسة المحلية.

شعر وكأنه يشاهد مهزلة. كان يعلم أن الأمور في الأرياف مختلفة عنها في المدن، ولكن ليس إلى هذا الحد اللعين بحيث أن مديرة مدرسة تتخذ أيضاً حرفة دنيئة!

تملكته الحيرة لموجة عارمة من الغيرة غمرت سيطرته المعتادة على نفسه وكذلك تلك الكراهية الفورية التي شعرها نحو ذلك الرجل الواقف بجانبها. وكان غراهام يقول: «وهذا نايجل مارس مساعدي وابن عم جودي».

ابن عمها! وتملكه الارتياح بعد مشاعره السخيفة.

وبينما كانت ماري تتحدث إلى ليو. همس نايجل لجودي: «لدي مفاجأة صغيرة لك».

فمنحته ابتسامة شاحبة، بينما كان غراهام يسألها ببشاشة: «هل أحضر إليك كأس شراب يا جودي؟»

فأجابت بشكل آلي: «أنا لا أشرب عادة. شكراً».

ثم توهج وجهها احمراراً عندما رأت النظرة التي رمقها بها ليو جفرسن.

فقال نايجل لغراهام هازلاً: «إنها متزمتة متمسكة بالمبادىء الأخلاقية من قبل أن تصبح معلّمة. لا أستطيع أن أصدق أننا جئنا من مصدر جينات واحد. دوماً أخبرها بأن عليها أن تسترضي و«تتلحلح» قليلاً وتستمتع بالحياة، وتنطلق».

لم تشأ جودي أن تنظر إلى ليو جفرسن مرة أخرى. لكنها، لأمر ما، لم تستطع أن تمنع نفسها من ذلك. ذهلت عندما رأته يقترب منها، وعندما كان نايجل يجيب على شيء كانت ماري تقوله، مال

إلى الأمام وهمس لجودي ساخراً: «إنه تغيير كامل في الشخصية هذا الذي استطعت إنجازه في أربع وعشرين ساعة».

ـ أرجوك!

توسلت إليه بقنوط خائفة من أن يكون سمعه أحد لكنها شعرت بالارتياح حين انتقل الجميع إلى خارج مرمى السمع.

فقال يذكرها بنعومة: «(أرجوك...) أذكر أنك قلت لي شيئاً كهذا الليلة الماضية».

فتوسلت إليه بانزعاج: «كفى. أنت لا تفهم».

ـ معك الحق تماماً في أنني لا أفهم. أخبريني شيئاً، هل يعلم أصحاب مدرستك أن لديك وظيفة أخرى هي الصيد؟ أنا أعلم أن مديرات المدارس قد لا يقبضن رواتب جيدة، لكنني لم أتصور قط أنهن يضفن إلى دخلهن مثل هذه الدروس الخاصة.

ـ لا، أنت...

كانت جودي تريد أن تستمر وتخبر ليو أنه فهم الأمر خطأ، لكن لهجتها العنيفة جعلت نايجل يقطع حديثه مع ماري جونسون، وينظر إليها بقلق. كان يعلم كم هي محمومة المشاعر بالنسبة إلى مدرستها، لكنه لم يتوقع أن يسمعها تتجادل مع ليو جفرسن في هذا الوقت المبكر من المساء، فهذا لا يبشر بخير. وعلى كل حال، قبل أن يرتجل نايجل بعض الكلمات الدبلوماسية، أعلنت ماري أن العشاء جاهز.

قال نايجل وهو يتنهد راضياً بعد أن تناول آخر ملعقة من الحلوى: «كان ذلك لذيذاً للغاية! العيش منفرداً شيء جميل، لكن السخان «الميكرويف» لا يمكن أن يحل مكان الطهي المنزلي. دوماً

أقول هذا لجودي، لكنها لا تفهم بالإشارة».

قال هذا لماري وهو ينظر إلى جودي مداعباً.

فأجابت جودي بحزم: «إذا كنت تحب الطعام البيتي عليك أن تتعلم الطهي. إنني أصر على أن يتعلم التلامذة، أناثاً وذكوراً، مبادىء الطهي».

فالتفتت ماري إلى ليو: «أظن هذا رائعاً. لقد فعلت جودي لمدرستها العجائب. عندما استلمت الإدارة لم يكن ثمة سوى بعض التلامذة القلائل، والمدرسة على وشك الإقفال، إنما الآن الآباء يسجلون أسماء أطفالهم عند مولدهم لكي يضمنوا لهم مكاناً».

شعرت جودي بوجهها يحمرّ عندما التفت ليو ينظر إليها. كان المساء بأكمله كابوساً، وحتى الآن ما زالت نهايته بطيئة بالنسبة إليها.

قال نايجل: «آه، نعم. جودي تحب مدرستها بشكل محموم».

ـ بشكل محموم؟

شعرت جودي بتوترها يزداد عندما كرر ليو هاتين الكلمتين بنفور وسخرية كما كانت تتوقع. هل سيخذلها؟ لكن الارتياح تملكها عندما تابع: «أناواثق من ذلك».

فقال غراهام بهدوء وهو يبتسم لجودي: «أظنها قلقة أيضاً للضرر الذي سينعكس على مدرستها إذا أردت أن تقفل مصنع فرامبتون».

عندما نظر ليو إليه بحدة، هز غراهام كتفيه بخفة وقال له: «ليس سراً إنك تنوي أن تغلق واحداً أو اثنين من المصانع، فقد ذكرت ذلك الصحف».

فأجاب: «هذا لم أقرره بعد».

فسألته جودي: «هل تفكر في إغلاق مصنعنا؟»

فقطب جبينه. إنها لم توجه إليه كلاماً طوال المساء، حتى أنها لم تكد تنظر إليه، لكنه شعر بتوترها وعدائها بنفس الوضوح الذي يشعر هو بذلك نحوها.

لقد غاظه أنها تقوم بدور معلمة متفانية كذباً وخداعاً بينما هو يعرف حقيقتها.

لا بد أنها خالية تماماً من الضمير! كم هي ماهرة في خداع كل من حولها بمثل هذا النجاح، وفي كسب ثقتهم وإعجابهم واحترامهم. وحدث نفسه أن قوة مشاعره هي ردة فعل طبيعية لاكتشافه ازدواجيتها. إذا شاء أن يكشف حقيقتها... لكنه طبعاً لا يستطيع ذلك...

ولكن لماذا فعلت ذلك؟ هل لأجل المال كما ظن في البداية؟ هل لأنها تستمتع بالمخاطر؟ أم لأنها تريد أن تساعد دريسكول؟ ولأمر ما وجد هذا السبب الأخير أكثر هذه الأسباب كراهة.

كانت جودي تشعر بنظرات ليو تحرقها بالازدراء المرّ... إذا تحدث عن الليلة الماضية...! لو أن نايجل قد أبدى أقل إشارة إلى أن ليو سيكون معهم ضيفاً لما استطاعت قوة في الأرض أن تحملها على الحضور.

شعرت بالمذلة وهي تسمع الآخرين يمدحونها، ولم تجرؤ على التنفس كيلا يقول ليو شيئاً.

قريباً سينتهي فصلهم الدراسي الحالي. وفي العادة، كانت تشعر بالحزن عندما يحدث هذا، خصوصاً في نهاية الفصل الصيفي حيث يكون على التلامذة الأكبر سناً أن ينتقلوا إلى مدرسة (كبيرة). لكنها،

حالياً كانت متلهفة إلى أن تتوارى عن أعين الناس.

كان بعض أصدقائها من أيام الجامعة قد دعوها إلى القدوم معهم في عطلة يسيرون فيها على الأقدام. وهي تتمنى الآن لو أنها قبلت الذهاب معهم. وبدلاً من ذلك قالت إنها تريد أن تزخرف بيتها وتصلح من حديقتها. هذا إلى أنها ستحاول تحسين مدرستها... وهو شيء كان في نظرها مصدر بهجة أكثر مما هو واجب.

والآن، بفضل ليو جفرسن، كل تلك المباهج الخفيفة التي كانت تتطلع إليها قد حجبتها سحابة شعورها بالذنب السوداء.

وسمعت غراهام يقول: «حسناً، سيخيب أملنا جميعاً إذا أنت قررت إقفال المصنع. إننا هنانعيش في منطقة ريفية صغيرة، وليس من السهل العثور على أعمال بديلة للأعمال الكثيرة التي سنفقدها.

فأجاب ليو: «هذا كله يتوقف، لسوء الحظ، على الحالة الاقتصادية. السوق ليس كبيراً بما يكفي لدعم مصانع كثيرة كلها تنتج نوعاً واحداً من السلع».

وفجأة، ما سمعته جودي كان كافياً. رغبتها المحمومة في أن تنقذ مدرستها تغلبت على الخوف والخزي اللذين أبقياها صامتة طوال العشاء، فالتفتت إلى ليو، وقالت له غاضبة: «لقد استطاع أن يدعمها جيداً قبل أن تستلمها أنت، ويبدو لي أن الحقيقة هي أن الحالة الاقتصادية التي تعنيها أنت هي ما يمس أرباحك فقط... دون أن يكون لديك فكرة عن المشقات التي ستسببها! سيخسر الناس أعمالهم، وستتحطم أسر ومعيشات. لدي في المدرسة أطفال أسرهم تعتمد في معيشتها على المصنع... الآباء، الأمهات، الجدود، العمات والأعمام. ألا تهتم لشيء سوى كسب المال؟»

شعرت بذلك الصمت القصير الذاهل الذي أحدثه انفجارها هذا. كان نايجل ينظر إليها محذراً، بينما كان غراهام جونسون مقطباً قليلاً وهو يقول: «كلنا نفهم شعورك يا جودي، لكن الاقتصاد والأرباح لا يمكن تجاهلها. ليو يتنافس في أسواق عالمية، ولكي تبقى أعماله ناجحة..».

فقاطعته لا تستطيع أن تتوقف بعد أن ابتدأت: «في الحياة أشياء أهم بكثير من الأرباح».

فنظر ليو إليها بحدة: «مثل ماذا؟ مثل أن يكون لديك في مدرستك ما يكفي من التلامذة للتأثير على مفتشي المدارس؟ ألست حريصة على أن تظهري عدد تلامذتك لكي تحصلي لقاء ذلك على مخصصاتك المالية من وزارة الثقافة، مثلي في استثماراتي المالية في عملي؟»

فقالت غاضبة: «كيف تجرؤ على هذا القول؟ الأولاد أنفسهم، ثقافتهم، مستقبلهم، حياتهم، ذلك ما يهمني. أما ما تفعله أنت..».

- ما أفعله هو محاولة إدارة عمل مربح. أما أنت، مع الأسف، فقد أعمتك نظرتك الضيقة. عليّ أن أرى صورة أكبر. إذا أنا أبقيت الأربع مصانع مفتوحة لن يدرّ أي منها ربحاً، وعند ذلك سأكون عاطلاً عن العمل وأخسر من الوظائف أكثر مما لو أغلقت اثنين منها».

- إنك لا تهتم، أليس كذلك؟ لا تهتم بما تفعله بالتعاسة التي ستسببها.

أدركت أنها اجتازت الحد، وأن غراهام ونايجل يراقبانها باهتمام وذعر، ولكن ثمة شيء كان يدفعها إلى الاستمرار. التوتر الذي كانت

تشعر به طوال المساء قد تغلب على عقلانيتها وتملكها دافع لتدمير النفس لم تستطع التغلب عليه.

قال ليو عابساً: «ما يهمني هو إبقاء عملي في القمة».

فلوت شفتيها بازدراء: «بالضبط... ألا يهمك أن ما تفعله هو لا أخلاقي كلياً؟»

توترت وهي تسمع تنفسه الحاد:

ـ أنت تجرؤين على اتهامي باللاأخلاقية!

أترى الآخرين سمعوا، كما سمعت، الطريقة التي لفظ بها كلمة (أنت)؟ أخذت تتساءل مصدومة وهي تحاول أن تصمد إزاء نظرة الاحتقار التي رمقها بها.

وتدخل غراهام بشيء من الضيق: «جودي، عزيزتي، إننا جميعاً نقدر شعورك نحو كل شيء. لكن ليو لديه حق، فمن الطبيعي أن يكون عمله تنافسياً».

ـ آه، هذا طبيعي!

قالت هذا بلهجة لاذعة بينما وقف نايجل معلناً أن الوقت حان لذهابهما. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تلقي على ليو نظرة متحدية: «في النهاية، كل شيء ينتهي بالمال، أليس كذلك؟»

وعندما وقف هو بدوره، نظر إليها وقال بلطف: «كما ينبغي عليك أن تعلمي».

وشعرت بوجهها يتورّد، بينما أضاف ليو حين ذهبت ماري لتحضر لهم معاطفهم: «يمكنك أن تخبري صديقك دريسكول..».

فقاطعته: «جيريمي دريسكول ليس صديقاً لي، وإذا شئت الحقيقة، أنا أكرهه وأشمئز منه مثلك تماماً».

وكانت ترتجف وهي تلبس معطفها شاكرة ماري. ثم تسرع بالخروج إلى دفء الليل أمام نايجل الذي التفت إلى مضيفهما يقول له شيئاً.

عندما انتظرته بجانب السيارة وظهرهما إلى المنزل، كانت تغلي من الغضب، بينما ابتدأت تشعر بتأثير رؤيتها ليو جفرسن وطريقة جدالهما أمام الجميع.

عندما سمعت صوت خطوات نايجل قادماً نحوها، قالت بعنف متوسلة دون أن تنظر إليه: «أخرجني فقط من هنا».

ـ إلى أين تريدين أن آخذك بالضبط، أم أن بإمكاني أن أخمن؟

استدارت بسرعة وهي تشهق عندما أدركت أن من تحدثه ليس نايجل بل ليو جفرسن.

ـ إبق بعيداً عني!

قالت هذا ثائرة وهي تبتعد عنه.

كان تصرفها هذا المبالغ فيه والذي لا مبرر له، آخر ما أمكنه احتماله، فقال: «أوه، هيا... ليس هنا من يسمعك»

فردت عليه بحدة وهي ترتجف: «أنت لا تعرف شيئاً».

فقال بعنف: «ليس هذا ما أخبرتني به الليلة الماضية. الليلة الماضية..».

فقالت بمرارة: «الليلة الماضية لم أكن أعلم ما أفعل. ولو كنت أعلم... لكنت أنت آخر رجل قد أقترب منه».

قالت هذا وهي ترتجف. ولم تكن تفكر بتعقل، بل كانت منجرفة في دوّامة هائلة من مشاعرها القهارة. وكانت مشاعره مثلها. مدّ يده يناولها حقيبة يدها التي كانت نسيتها في البيت، قائلاً ببرودة:

www.elromancia.com

«أنت نسيت هذه. ابن عمك ما زال يتحدث مع غراهام وماري فطلب مني أن أحضرها إليك. أظنه أراد أن يمنحك فرصة تعتذرين فيها إليّ عن فظاظتك المخيفة أثناء العشاء..».

- فظاظتي...

ومدّت يدها غاضبة تأخذ منه الحقيبة ولكنها جمدت مكانها عندما احتكت أطراف أصابعها بيده.

مجرد شعورها بلمسته أرسل شلالاً من الطاقة الكهربائية غير المرغوب فيها في كيانها كله.

- لا تلمسني!

نهرته ثم تأوهت بصوت ناعم معذّب عاجزة، وأسقطت حقيبتها ثم ترنحت نحوه في نفس الوقت الذي مدّ يديه إليها يجرها إليه. شعورها به كان مألوفاً بشكل عنيف مذهل جعلها تتجاوب على الفور. رفعت بصرها إلى وجهه ثم عانقها، معاقباً متملكاً. شعرت به يرتجف عندما انغرزت أصابعه في أعلى ذراعيها. ولكنه فجأة بدا وكأنه غيّر رأيه، فتركها فجأة واستدار على عقبيه مبتعداً.

مضت عدة ثوان وهي ترتجف حتى استطاعت أن تنحني لتلتقط حقيبتها، وأثناء ذلك سمعت صوت نايجل يناديها، ثم يقول بجفاء معتذراً وهو يفتح باب السيارة: «آسف لتأخري. هل تشعرين بتحسن الآن بعد أن أفرغت كل ما بصدرك».

فسألته بحدة بعد أن صعد الإثنان إلى السيارة: «أشعر بتحسن؟ وكيف يمكن ذلك بعد أن أمضيت المساء مع ذلك... مع ذلك؟».

- لا بأس! لا بأس، فهمت عليك. أظننا جميعاً مثلك. وأنا أفهم شعورك يا جودي، ولكن عنفك نحو ليو لن ينفعك. إنه رجل

أعمال، وعليك أن تحاولي رؤية الأمور من وجهة نظره.

- ولماذا أرى الأمور من وجهة نظره بينما هو غير مستعد لرؤية الأمور من وجهة نظري؟.

فنظر إليها بجفاء: «هناك مثل ذكي للغاية عن أنك بالعسل تلتقطين من الذباب أكثر مما تلتقطينه بالخل. رغم أنني لا أراك في مزاج يحب سماع ذلك».

فشعرت بوجهها يتوهج: «هذا صحيح».

وتنهدت: «لماذا لا تبقى الأمور كما كانت؟ كان كل شيء على ما يرام عندما كان المصنع ملكاً لدريسكول».

فأجاب بهدوء: «ليس تماماً».

عندما نظرت إليه هز رأسه. لقد تكلم أكثر من اللازم وهو لم يصبح حراً بعد في أن يخبرها عن طرق الخداع والاحتيال التي اتهم جيريمي دريسكول بممارستها في العمل. ولم تلحّ هي عليه أكثر. وبدلاً من ذلك انفجرت تقول: «ليو جفرسن هو أكثر الرجال الذين قابلتهم فظاظة وغطرسة وصعوبة في التعامل معه. وأتمنى... أتمنى..».

كانت غير قادرة على أن تحدد بالضبط ماذا تعني، ولماذا... عضت شفتها ونظرت إلى خارج السيارة فسرّها أنهما أصبحا في القرية وسرعان ما يصبحان في البيت.

* * *

عبس ليو وهو يذرع أرض غرفة جلوسه في جناحه. كان يفكر في أن يتصل بموظفة الاستقبال ويطلب منها أن ينقلوه إلى جناح آخر، فهذا الجناح يذكره كثيراً بها هي... جودي مارش!

تلك المرأة المثيرة للغيظ التي استحالت، من مخلوقة فاسدة إلى خصم شرس الليلة، لديها من الوقاحة ما يجعلها تتهمه باللاأخلاقية في تصرفاته! كيف استطاع أن يمنع نفسه من أن يتحداها؟ أن تجد لنفسها، بعد ذلك، مبرراً، فهذا ما لا يعرفه حقاً. ثم إنها معلمة مدرسة! ربما كان هو ساذجاً للغاية، لكنه لا يستطيع أن يفهم شيئاً.

أما بالنسبة إلى ما قالته عن مصنعه وعما سيؤثر اغلاقه على حياة الناس...

وقطب جبينه. أتراها تظنه يستمتع بإخراج الناس من أعمالهم؟ إنه ليس كذلك طبعاً. ولكن حالة المصانع الاقتصادية لا يمكن تجاهلها هكذا وبكل بساطة.

حسناً، إنه فقط يأمل بأن لا تضع في رأسها أن تأتي لزيارته الليلة، لأنها إذا جاءت فسيرميها خارجاً ويهينها أمام الملأ.

***

٤ ـ من المخطىء؟

ـ أنت دفعتني!

ـ لا، لم أفعل.

بحزم مشوب بالرفق فضّت جودي نزاعاً أحدثه أكثر تلامذتها إثارة للمشاكل وهي تسير في الملعب.

لم يكن ترك بن فانشاو ذي السابعة وشأنه تصرفاً قد يجعله صبياً اجتماعياً سعيداً، ولكن بفضل أمه المتسلقة درجات المجتمع أصبح صبياً صغيراً يهرب منه الأولاد.

كانت جودي قد حاولت بلباقة أن تناقش الموضوع مع أمه لكن مشاكل بن كانت مؤلفة من حقيقة أن ميرا فانشاو لم تكن أمه فقط... لكنها أيضاً أحد أعضاء مجلس إدارة المدرسة، وهو مركز وضعت عينهاعليه منذ الدقيقة التي انتقلت فيها مع زوجها إلى هذه القرية.

وكانت أوضحت لجودي، هي الصديقة الحميمة لجيريمي دريسكول وزوجته، أوضحت أنها كانت تفضل أن ترسل ابنها إلى مدرسة خاصة، لولا أن والدي زوجها رفضا دفع نفقات المدرسة قبل أن يصبح في سن مناسبة لذلك تشبهاً بالأجيال السابقة من ذكور العائلة، ولهذا اضطرت إلى إدخال بن مدرسة القرية.

www.elromancia.com

بعد أن شقت طريقها، بمختلف الوسائل، إلى عضوية مجلس إدارة المدرسة، أخذت تمطر الإثنين، جودي ومجلس الإدارة، بآرائها في تحسين المدرسة.

بعد أن خسرت، ميرا، آخر معركة لها لكي تفرض على المدرسة نهجاً في الرياضيات رأته هي مفيداً جداً لابنها، أوضحت لجودي أنها أصبحت من ألدّ أعدائها.

حاولت جودي بلباقة أن تقترح تشجيع ابنها على أن يتخذ مزيداً من الأصدقاء بين زملائه من التلامذة، لكن ميرا قابلت تلميحاتها الرقيقة بغضب بالغ وعداء قائلة لجودي بأنها لا يمكن أن تقبل بأن يختلط ابنها بأبناء القرية العوام.

ـ عندما يغادر ابني هذه المدرسة، سيتعرف إلى طبقة من الأولاد مختلفة جداً. وهو يعرف هذا، ويعرف أيضاً أنني كنت أفضّل له أن يدخل مدرسة خاصة حقيقية. يا ليتني أستطيع إقناع جديه بأن من الأفضل جداً لو كان الآن في مدرسة خاصة! لقد ذعر جيريمي وزوجته أليسون لمجرد تفكيرنا في السماح له بدخول هذه المدرسة. على الأقل، بعد أن أصبحت الآن عضواً في مجلس الإدارة، صار بإمكاني أن أتأكد من أنه يتلقى أصول التعليم الصحيح. لقد أخبرتني زوجة القسيس منذ أيام فقط كم تحسنت المدرسة منذ اشتراكي في إدارتها.

قالت هذا متباهية تاركة جودي موزعة بين الرثاء للصبي والحيرة من عدم مراعاة ميرا لأحاسيس الآخرين. هذا مع العلم بأن أنّا ليزلي، زوجة القسيس، كانت في الواقع أخبرت جودي أنها لا تطيق ميرا وتشمئز من غطرستها.

بعد أن لم يبق سوى وقت قصير على انتهاء الفصل الدراسي،

كان من الطبيعي أن يتملك الأولاد الحماسة والنشاط، كما أقرت جودي وهي تسير إلى مكتبها.

وعندما رن جرس المدرسة يستدعي التلاميذ إلى التجمع لدخول الصفوف، كانت هي مستغرقة في عملها بحيث نسيت تقريباً ليو جفرسن.

تقريباً...

أجفل ليو عندما رن تليفونه الخليوي. كان في سيارته متجهاً إلى اجتماع مع محاسبه في مصنع فرامبتون الذي كان موضوع ذلك الجدل الحار بينه وبين جودي تلك الليلة.

قطب جبينه وهو يرى الرقم المسجل لطالبه. إذا كانت تتصل به محاولة أن...

رفع التليفون إلى أذنه لكن صوت الطالب لم يكن صوت جودي، حتى ولا صوت امرأة بل صوت جيريمي بريسكول: «إسمع. لقد فكرت في الاتصال بك لكي أرى إن كان بالإمكان أن نتفق. ما أريد أن أقوله هو أنك مضطر إلى إقفال مصنعين على الأقل، فأنا أقدم إليك هنا عرضاً جيداً وهو استعدادي لشراء مصنع «فرامبتون» منك».

وكان ليو يصغي إليه عابساً.

ـ تشتريه؟

سأله متحدياً وانتظر أن يهدده جيريمي بالابتزاز لكي يوافق، لكنه دهش عندما لم يُشر جيريمي إلى جودي وزيارتها له في سريره.

ـ إسمع. نحن الإثنين من رجال الأعمال، ونحن الإثنين نعلم أن هناك طرقاً ووسائل من وراء بيعك لي المصنع ستفيدنا نحن الإثنين مالياً...

لم يجب ليو!

كان جيريمي بريسكول يقوم مع زوجته برحلة إلى البحر الكاريبي عندما قبل والد زوجته عرضه لشراء المصنع، وأخذ يبدو واضحاً لليو، أن جيريمي لسبب ما، لا يريد أن يرى البيع يتم.

فقال، وكانت هذه هي الحقيقة: «إنني لم أقرر بعد أي المصانع سأغلقها».

- مصنع «فرامبتون» هو الخيار الواضح. أي شخص يمكنه أن يرى ذلك.

قال جيريمي هذا بإلحاح، وأحس ليو بنبرة قلق في صوته.

كان ليو قد أوشك على الوصول إلى المصنع فأراد أن ينهي المكالمة: «سأتصل بك عندما أتخذ قراري».

عندما أنهى ليو الاتصال ازداد عبوسه. أزعجه أن جيريمي دريسكول لم يقل كلمة عن جودي. هل أخبرته أنه رفضها؟ لكنها بقيت تلك الليلة في غرفته وهذا كاف ليستغله رجل كدريسكول. . . دريسكول ليس بالرجل الذي يغفل فرصة تزيد من أرباحه إلى أقصى حد. ورغم أن ليو يعلم أنه لن يسمح له بأن يبتزه، إلا أنه مع ذلك، في موضع ضعف.

ولكن لا يمكن أن يقاس ذلك بموضع الضعف الذي وقعت فيه جودي نفسها، كما أقرّ عابساً.

* * *

سأل ليو محاسبه بعد أن أنهيا جولة قاما بها في أنحاء المصنع: «إذن، أنت تنصحني بأن أغلق هذا المصنع؟»

- حسناً، يبدو أن هذا هو الخيار الوحيد. لأن مصنع «نيوهام»

يقوم بجانب شبكة طرق السيارات.

فقاطعه ليو: «وهذا يعني سهولة بيع البضائع للمتعهد. وهذا سيسمح لي بأن أعزز الإنتاج في مصنع «فرامبتون» وأستعمل «نيوهام» للتوزيع فقط. أو، إذا ثبت أن ذلك غير اقتصادي، أبيعه».

فقال المحاسب: «نعم، يمكنك ذلك».

فتابع ليو: «كذلك «فرامبتون» لديه ميزة حصوله مؤخراً على خط جديد للإنتاج».

- نعم أعلم هذا. يبدو أن حريقاً شب في المصنع القديم وهذا يذكرني بشيء آخر.

وأخبره المحاسب بحذر: «هنالك أمر أو اثنان غير مفهومين».

- مثل؟

- مثل شبوب حريقين في فترة قصيرة جداً، وخلل معيّن في جهاز المحاسبة. يبدو أن هذا المصنع كان يديره صهر المالك، والذي سبق له العمل في عمل أكسبه سمعة غير مقبولة من مصلحة «الضرائب».

فقال ليو بحدة: «إذن هذا يعني الغش».

- لا أدري، لكنني لم أجد في الحسابات أي غش أثناء الاستلام. وعلى كل حال، قد لا تكون تلك الحسابات هي الوحيدة المسجلة للمصنع. لكن هناك ما يحدثني أن الأمور ليست كما ينبغي أن تكون.

وتساءل ليو إن كان المحاسب أدرك، دون وعي، السبب الذي يجعل جيريمي بهذا القلق لاستعادة المصنع هذا بالذات.

وكان محاسبه يتابع: «إذا كنت جاداً في البحث عمن يشتري مصنع «نيوهام»، فأنا أعرف واحداً. . .».

فقاطعه ليو: «أفضّل أن أقرر توزيع أعمالي بنفسي. ومع ارتفاع

www.elromancia.com

الأسعار كما هو الآن، من المفيد اقتصادياً السيطرة على تلك الناحية من العمل».

ما الذي يفعله بحق الله؟ تساءل ليو في داخله ساخطاً. إنه يبحث عن مناقشات تبقي مصنع «فرامبتون» مفتوحاً! من المؤكد أنه لا يسمح لنفسه بأن يكون تحت تأثير آراء عاطفية لامرأة لا تعرف شيئاً عن الأعمال. رغم أنها تعرف كل شيء عن كيفية إغراء الرجل. امرأة كانت تخنقه وتقوده إلى الجنون، كما قرر ليو ساخطاً.

افترقا، هو ومحاسبه، عند بوابة المصنع، وكان وقت الغداء قد حل تقريباً. وتذكر ليو أن هناك مقهى في القرية يمكنه أن يجد فيه ما يأكله.

إذا غيّر خطته وأبقى على مصنع «فرامبتون» فهذا يعني أنه سيمضي فترة لا بأس بها من الوقت في هذه المنطقة، عدة أشهر على الأقل. ولهذا عليه أن يستأجر مكاناً يسكن فيه.

تذكر أن المقهى كان مقابل الكنيسة تقريباً. ويفصل بينه وبين المدرسة، المقبرة وحقل معشوشب.

ولأن الوقت وقت الغداء، كان ملعب المدرسة مليئاً بالأولاد. فاتجه إلى موقف سيارات المقهى حيث أوقف سيارته ثم اتجه إلى المدخل الرئيسي.

أثناء ذلك استرعى انتباهه مجموعة من الأولاد يحيطون بشخص مألوف.

كان شعر جودي الجعد يلمع تحت أشعة الشمس. كانت ترتدي تنورة قطنية وبلوزة بلونها.

لم تره، كما اعترف، لكنها كانت تضحك لشيء قاله أحد

تلاميذها، وهي تلقي برأسها إلى الخلف كاشفة عن خط عنقها بلون بشرتها الحنطية. وخفق قلبه بعنف لمرآها ـ إنه يريدها!

كانت تبدو في دورها هذا الذي اختارته لحياتها كأنها في بيتها. الأولاد كانوا معها مرتاحين تماماً. ثم، وكأنها، بشكل ما، شعرت بنظراته، فنظرت باتجاهه. جمدت مكانها وتلاشت البهجة فجأة من وجهها عندما تصارعت نظراتهما بصمت عبر تلك المسافة التي تفصلهما.

وكأنما أحس الأولاد أيضاً بعدائهما، فجمدوا وسادهم الصمت. وما لبث ليو أن رآها تشير إليهم بالابتعاد عن سور المدرسة إلى حيث تواروا عن الأنظار.

***

كان المطعم مزدحماً، لكن ليو لم ينتبه إلى أحد من الزبائن.

كانت أفكاره مع جودي ما جعله يتساءل عابساً عما يحدث له.

تناول طعامه بسرعة دون أن ينتبه إلى نوعه، وهو ما يزال يتخيل جودي محاطة بتلاميذها. لقد بدت...

هز رأسه محاولاً أن ينبذ صورتها من ذهنه ما جعل النادلة التي خدمته ترتجف قليلاً وتفكر كم يبدو خطراً!

بعد أن انهى عشاءه ورفض كوب قهوة ثانياً، نهض، غافلاً عما سببه للنادلة من خيبة أمل.

في عودته إلى السيارة، لاحظ أن ملعب المدرسة خالٍ الآن ولا ريب أن الأولاد عادوا إلى صفوفهم. بينما عاد إلى المدينة في سيارته وهو يعنّف نفسه: أليس لديه ما يفكر فيه سوى معلّمة المدرسة تلك؟

قال السمسار: «حسناً، ليس لدينا، عادة، أملاك للإيجار. ولكن

www.elromancia.com

ما حدث هو أنه طُلب منا ان نجد مستأجرين لمنزل فاتن خارج قرية «فرامبتون» بالضبط. لا أدري اذا كنت تعرف القرية».

- نعم أعرفها.

- انا نفسي أعيش فيها. فإذا كان لك أولاد أنصحك بأن تضعهم في مدرسة القرية. المديرة جودي مارش رائعة...

فقاطعهم: «أنا أعرف جودي».

- تعرفها؟ حسناً، إن كنت صديقاً لجودي ستجد ترحيباً حاراً في القرية، فهي محبوبة جداً من أهل التلاميذ كما هي من التلاميذ، وهي تستحق ذلك. زوجتي ترتجف خوفاً من فكرة مغادرتها القرية. إنها تقول إن المدرسة لا تساوي شيئاً من دونها. كلنا معجبون بجهودها التي لا تكل أو تملّ للاحتفاظ بالمدرسة مفتوحة، ولجمع ما يكفي من المال لتشتري الملعب الرياضي القريب منها لكي تمنع جيريمي دريسكول من أن يشتريه أرضاً للبناء. وهذا لم يجعل بينهما، هي وجيريمي، مودة على الإطلاق، فهي لم تكن قط من أنصاره، كما ربما تعلم...

وألقى على ليو نظرة أخرى متفحصة، لكن ليو اكتشف انه كره بشكل غريب أن يصحح للرجل فكرته المغلوطة. ذلك لأنه كان مشغولاً بتحليل قول السمسار المدهش عن كراهية جودي لجيريمي دريسكول.

سأل السمسار: «اذا كنت تريد أن ترى منزل «آشتون هاوس»..».

حدث ليو نفسه أن عليه أن يرفض، وأن اختيار العيش بعيداً عن جودي مارش بمسافة أقل من مئة ميل هو جنون تام. ولكن لأمر ما،

سمع نفسه يوافق على رؤية المنزل، وعلى اقتراح السمسار بأن يذهبا على الفور...

- حدث لدي انطباع بأن جيريمي دريسكول غير محبوب هنا.

سأله ليو هذا بعد نصف ساعة وهما أمام المنزل الجورجياني الجميل: «حسناً، لا. إنه ليس محبوباً. ورغم أنه متزوج، إلا انه يظن نفسه معشوق النساء، وطبعاً جودي بالذات معروفة جيداً بتزمتها الأخلاقي، ولهذا أظن أنها أفهمته بصراحة أنه غير مرغوب فيه».

جاهد ليو ليستوعب هذه المعلومات الجديدة عندما غيّر السمسار الموضوع ليخبره عن البيت: «لقد بُني المنزل أصلاً للإبن الأصغر لملاّك أراضي. ومع كل زخارفه الداخلية يُعدّ جوهرة رائعة، ولو كان لدي مال كافٍ لاشتريته. صاحبته العجوز توفيت منذ أسابيع، فأراد الوارثون أن يبيعوه، لكنهم يريدون له مستأجراً الآن إلى أن يتم فرز الأملاك. هل ندخل؟»

كان المنزل جوهرة حقاً. وشعر ليو بأنه كان سيشتريه لو أنه يبحث عن بيت دائم. ولهذا كان سعيداً بدفع الإيجار المتواضع نسبياً الذي طلبه السمسار.

وعندما عادا إلى مكتب السمسار لإنجاز أوراق الإيجار، لم يكن بيته الذي استأجره يشغل أفكاره أكثر مما يشغله ما أخبره به السمسار عن جودي.

لماذا يبدو أن كل شخص يعتبر جودي مثالاً للفضائل؟ هل يمكن أن يكون رأيه فيها خاطىء إلى هذا الحد؟ بشكل ما وبعد عودته إلى الفندق، عاد الشك يساوره بشكل لم يستطع التخلص منه. هل يُعقل أن كل أولئك الناس مخطئون وهو وحده على صواب؟ وأخبره المنطق

بأن ذلك غير صحيح.

ولكن لا شيء يغيّر حقيقة أن جودي كانت في غرفته وفي سريره.

***

أرغمت جودي نفسها على الابتسام لمجموعة الآباء المجتمعين خارج بوابة المدرسة يتحدثون مع بعضهم البعض بينما هم يحرسون أطفالهم بأنظارهم.

في المصنع تجري مجموعة تنقلات، وهذا يعني بأن مجموعة كبيرة من الأسر التي يعمل فيها الأم والأب معاً، قد قسم كل والدين بينهما مهمة إحضار وأخذ أولادهما من المدرسة. كان الآباء يفضلون لذلك فترة بعد الظهر، ولو لم تكن جودي مشغولة البال بليو جفرسن لوقفت معهم تتحدث قليلاً.

أثناء مرورها سمعت الرجال يتحدثون عن إمكانية إغلاق المصنع، ونيتهم في إظهار اعتراضهم: «علينا أن نفعل شيئاً يمنع ذلك. لا يمكننا الوقوف متفرجين بينما أعمالنا ومصدر معيشتنا يضيع».

قال رجل هذا بغضب، فقال رجل آخر: «نحن بحاجة إلى أن نقوم بمظاهرة».

مظاهرة! هذا ما ستفعله هي إذا ما هدّد أحد بإغلاق مدرستها الحبيبة.

قطبت جبينها. هؤلاء هم أنفسهم الذين ساندوها في تصميمها على إبقاء المدرسة مفتوحة، وجمع التبرعات لشراء الملعب القريب منها. أقل ما يمكنها عمله لأجلهم أن تساندهم بدورها، ولا صلة

لمشاعرها نحو ليو جفرسن بذلك.

واستدارت عائدة إلى المجموعة الصغيرة: «سمعت أقوالكم عن إقفال المصنع والمظاهرة التي تنوون القيام بها. يمكنكم حتماً الاعتماد على مساعدتي لكم».

فقال أحدهم متحدّياً: «كيف، أمام الجميع؟»

- نعم. أمام الجميع.

قالت هذا بحزم وهي تتصور بوضوح ليو جفرسن يراقبها بازدراء بالغ أثناء العشاء.

***

- ليو... لحظة واحدة!

في منتصف ردهة الفندق، توقف ليو ونايجل مارش يهرع نحوه: «إسمع، كنت أتساءل إن كان بإمكاننا تبادل كلمتين».

قطب ليو وهو يرى ابن عم جودي، بينما بدا الضيق على الشاب والتصميم في نفس الوقت.

نظر ليو إلى ساعته: «يمكنني منحك عشر دقائق».

فبدا الارتياح على نايجل: «شكراً. أريد فقط أن أحدثك عن جودي، ابنة عمي.. أنت قابلتها ذلك المساء».

وتساءل ليو عما عسى أن يقوله نايجل لو أنه أخبره بأن جودي امرأة لن ينساها أبداً.

على كل حال، لم يكن في نية ليو أن يكشف عن أي شيء. وبدلاً من ذلك أجاب: «أتعني المعلمة؟»

- نعم، أنا أعلم أنها ربما تعترض طريقك حيث أنها... مشوشة بالنسبة إلى استلامك... المصنع...

فقاطعه ليو ببرودة: «إن لديها موقفاً عدائياً جداً بالنسبة إليّ».

- الأمر ليس شخصياً! إنه فقط أن المدرسة تعني لها الكثير. لقد جاهدت كثيراً لكي تجعلها ناجحة، ودوماً هي منجذبة نحو العاجزين والمهزومين. إنني أتذكر عندما كنا أولاداً، وكانت هي تمثل دور الأم دوماً لشيء أو لشخص. أنا أعرف أنها تجاوزت ذلك المساء بعض حدودها، لكنها لم تكن تتوقع أن تراك هناك. وأظن ذهابها إليك الليلة التي قبلها لتعرض عليك أمرها، ثم جبنها عن ذلك...

وسكت فجأة وقد بان عليه الخجل والضيق، مدركاً أنه قال أكثر مما ينبغي، لكن الوقت كان قد فات، فقد كان ليو يسأله بحدة: «هل لك أن توضح آخر جملة؟»

كرر نايجل قوله وقد ازداد ضيقه. فسأله ليو غير مصدق: «أتعني أن جودي أرادت أن تراني في جناحي لكي تعرض علي وضع مدرستها وتطلب مني عدم بيع المصنع؟»

- أنا أعلم أنه ما كان لي أن أشجعها أو أساعدها على ذلك، وربما إذا عرف غراهام بالأمر سيراني فوضوياً، لكنني لم أستطع منع نفسي من مساعدتها. لو كنت تعرفها جيداً لتفهمت الأمر.

لكن ليو كان يعرفها، وازدادت معرفته بها كثيراً الآن. مثل سبب وجودها في غرفته... في غرفته ولكن ليس في سريره. أتراها طلبت ذلك الكوكتيل الكحولي لتمنح نفسها بعض الشجاعة؟ ثم، ربما أفرطت بتعاطيه؟ إذا كان الأمر كذلك...

وكان نايجل ما يزال يتكلم فأرغم ليو نفسه على الإصغاء: «جودي تستحق استراحة، فقد جاهدت كثيراً لأجل مدرستها. أولاً لتحسين مستوى التعليم لكي تحصل على مزيد من التلاميذ، ثم وثانياً

ضد جيريمي دريسكول لكي تمنعه من شراء الحقل الذي تتخذه المدرسة ملعباً».

- كنت سمعت شيئاً عن ذلك.

- استاء جيريمي جداً لخسارته قطعة الأرض تلك، ثم إنها، كما سبق وحذرت جودي، جعلته عدواً خطراً لها. وليس سراً أنه غير محبوب في المنطقة. جودي لا تطيقه وأنا لا ألومها.

قطب ليو جبينه وهو يستوعب ما يسمع بصمت. نايجل هو الشخص الثاني الذي يخبره بأن جودي تنفر من جيريمي دريسكول.

وهذا يعني... يعني أنه هو، ربما، أساء الحكم عليها في أمرين. نعم، ولكن ذلك لا يوضح سبب قيامها بإغوائه.

إذا كان له أن يتقبل رأي كل شخص آخر، فهذا التصرف منها غير مناسب.

وكان نايجل يتابع: «أنا أعلم أن جودي تجاوزت حدودها قليلاً ذلك المساء، لكنها، والحق يقال، كانت محقّة بالنسبة إلى المصنع..».

- لأن مدرستها الغالية ستكون في خطر الإغلاق.

- إننا في منطقة ريفية وسيكون العثور على وظائف بديلة صعباً جداً. وهذا يعني أن على الناس الذين يبحثون عن عمل أن ينتقلوا من هذه القرية، ولهذا من المحتمل أن تعود المدرسة الى الحالة التي كانت عليها عندما استلمتها جودي. لكنها من نوع الأشخاص الحساسين للغاية نحو مشاعر الآخرين، واهتمامها بهم هو الذي دفعها إلى القلق البالغ هذا الذي لم تعرف مثله من قبل. لقد كانت مدرسة خاصة قد عرضت عليها راتباً كبيراً لتعمل فيها، بما في ذلك

علاوة إضافية تتضمن تعليماً مجانياً لأولادها لو أصبح لديها أولاد.

ـ لكنها ليست على علاقة بأحد، أليس كذلك؟

لحسن الحظ لم يستغرب نايجل هذا السؤال، فهز رأسه:

ـ آه، كلا، إنها سيدة صعبة الإرضاء، العلاقات العادية ليست عادتها، وكذلك لم تصادف بعد الرجل الذي ترضاه لعلاقة جادة.

ـ امرأة عاملة؟

ـ حسناً، إنها تعشق عملها تماماً. اسمع، أخذت الكثير من وقتك لأجل جودي. وأرجو المعذرة.

فهز ليو كتفيه: «أنا نصف إيطالي. والولاء للأسرة هو بعض تراثي».

وكانت هذه هي الحقيقة، وشعر ليو بالإعجاب بنايجل مارش لدفاعه النشيط عن ابنة عمه. لكن حديثهما ترك لديه أسئلة لا يمكن أن يجيب عليها سوى شخص واحد هو جودي نفسها. ولكن هل ستجيبه عليها؟ وهل من الحكمة أن يلقيها عليها مغامراً في تورط أكبر معها؟

تورط أكبر؟ أليس هذا ما يريده قلبه؟

***

أغمضت جودي عينيها وتنفست بعمق هواء المساء النقي.

مضت ثلاثة أيام على رؤيتها ليو جفرسن لآخر مرة، لكنه لم يفارق ذهنها حتى عندما يكون عليها أن تركز على أمورها مثل اجتماع اللجنة لأجل يوم المدرسة الرياضي الذي حضرته منذ يومين، والاجتماع المرتجل الأقل أهمية لبحث المظاهرة أمام المصنع.

كانت مشاعرها متوترة للغاية بالنسبة إلى إغلاق المصنع المحتمل. ورغم أنها تحدثت مع نايجل عن ذلك، إلا أنه لم يستطع أن يخبرها بأي شيء، بل قال: «كان ليو جفرسن في لندن مرتبطاً بعدة اجتماعات».

ما لم يستطع أن يخبرها به، حفاظاً على أسرار العمل، هو أن جيريمي دريسكول سيُقدّم إلى التحقيق بسبب تلاعب في ملفات ودفاتر الحساب، فقد كان فيها تناقضات كثيرة دون تفسير معقول لذلك.

كانت جودي تتسلق طريق المشاة الضيق صعوداً إلى أحد أماكنها المفضلة، «منزل آشتون هاوس»، ذلك المنزل الجورجياني الرائع الفخامة والجمال، المبني على أرض خارج القرية.

أرض تم الاتفاق أثناء اجتماع الليلة الماضية على أن يقوم العمال بمظاهرة صباح الغد، وكانت جودي مصممة على الانضمام إلى المظاهرة بعد انتهاء اليوم الدراسي. عندما كانت تلميذة، شاركت في العديد من المظاهرات لأجل حقوق الإنسان والحيوان أيضاً، وعند ذلك، مثلها الآن، كما أوضحت بحزم للجنة، كانت تعارض بعنف استعمال أي نوع من العنف والقسوة.

وكانت والدة أحد تلامذة جودي قالت: «أظننا اتفقنا جميعاً على هذا الموضوع. ويا ليت الأمر لم يصل إلى هذا الحد! لقد حاولنا أن نبدأ بالحديث مع ليو جفرسن، لكنه قال إنه لا يعتبر من المناسب أن يجتمع بنا حالياً».

ليو!

وأغمضت جودي عينيها وتنهدت. ربما لم تره منذ ثلاثة أيام،

www.elromancia.com

لكن ذلك لا يعني. . . وفتحت عينيها بسرعة. إنها لن تفكر في ذلك الرجل الذي لا يبارح مخيلتها لحظة. . .

* * *

٥ـ جرس إنذار غبي

قطب ليو جفرسن جبينه وهو يسمع وقع خطوات على الطريق الضيق الذي يؤدي إلى «منزل آشتون هاوس»، وكان انتقل إليه رسمياً ذلك الصباح بعد أن رتب أمر فريق تنظيف ليذهب أمامه. وكان الآن يتفحص الحديقة ليصل إلى نتيجة أنها بحاجة إلى فريق بستانيين ليعيدوها إلى سابق مجدها.

أمضى الأيام القليلة الماضية في لندن حيث أنجز عدة اجتماعات مختلفة تتعلق بتملكه المصانع ومستقبلها معاً. والآن يبدو أن السلطة تريد أن تفتح تحقيقاً حول أعمال المصنع المالية، وبالذات عندما كان تحت إدارة جيمي دريسكول. إذا هو قرر أن يبقي المصنع مفتوحاً، عليه أن يقرر ما سيفعله بالنسبة الى المصانع الأخرى.

واحد منها كان هو المصنع الأقدم، وينتج سلعاً عتيقة الطراز، وعمّاله مُستنزفون، ومن الأفضل أن يُغلق.

من الثلاثة الآخرين. . . إذا شاء أن يبقي «فرامبتون» منتجاً، عليه إما أن يبيع المصنع القريب من شبكة الطرق، أو يغير استعماله إلى التوزيع.

وإذا فعل ذلك. . . وأجفل عندما توقفت الخطوات عند البوابة

www.liilromancia.com

في حديقته المسوّرة التي ينتهي عندها طريق المشاة، وعند ذلك رآها بوضوح.

جودي مارش!

رأت جودي ليو في نفس الوقت الذي رآها هو فيه. وجمدت لرؤيته، ما الذي يفعله ليو في حديقة هذا المنزل؟

منزلها! إنه المنزل الذي تمنته سراً منذ اللحظة التي وقع نظرها فيها عليه.

قبل أن تتمالك نفسها وتسرع متجاوزة المكان، كان قد فتح البوابة واتجه نحوها ثم وقف أمامها ساداً الطريق.

سمعته يقول لها بهدوء: «أريد أن أتحدث إليك».

حملقت فيه داعية الله أن لا يجعله يسمع دقات قلبها العنيفة أو يتكهن بمبلغ تأثيره عليها. وأجابت: «حسناً، لكنني لا أريد أن أتحدث إليك».

كذابة، كذابة... كما أخذ ضميرها يعذبها بصمت... إنك لا تريدين فقط أن تتحدثي إليه، بل...

تملكها الذعر لاحتمال أن يحس، بشكل ما، بما تشعر به. وحاولت أن تبتعد، لكنه سبقها بأن أمسك ذراعها، وبينما أخذت تقاوم الدوار الذي تملكها للمسته، وجدت أنه كان يدفعها بلطف ولكن بحزم خلال البوابة إلى الحديقة... بدعوة من السيدة العجوز التي كانت تعيش هنا، وكانت، مثل ليو، قد رأتها مارة على هذا الطريق ذات يوم.

لقد تملكها الحزن حينذاك وهي ترى إهمال الحديقة، وتشوقت الى أن تكون هي التي تعيد الحديقة والبيت معاً إلى مجدهما الغابر.

وطبعاً كان ذلك حلماً مستحيلاً، فقد خافت أن تتصور ما يكلفه ذلك من مال. كان ذلك كثيراً جداً عليها، ولكن كما يبدو، ليس كثيراً على ليو جفرسن.

ـ هل لك أن تكفّ عن استعمال العنف معي، رجاءً؟

سألته غاضبة عندما أغلق البوابة، ثم توهج وجهها أحمراراً عندما رأت الطريقة التي كان ينظر بها إليها.

نظر إليها عدة ثوانٍ قبل أن يسألها بهدوء: «ماذا كنت تفعلين في جناحي في الفندق؟»

نظرت إليه ذاهلة، واستغرق تنبهها من صدمة هذا السؤال المباشر عدة ثوان قبل أن تتمالك نفسها وتذكّره بحزم: «حسناً، حسب قولك، كنت أنا هناك لكي..».

وسكتت عندما أخذ يهز رأسه: «لا أريدك أن تخبريني بما كنت اعتقد أنك تفعلينه هناك، يا جودي، أريد أن أسمع روايتك أنت لما حدث».

روايتها هي ... لقد أدهشها الآن. وحولت نظراتها عنه، ثم قالت متحدية: «لم يعد الأمر مهماً الآن، أليس كذلك؟»

ـ حسب قول ابن عمك، كنت هناك لتطلبي مني عدم إقفال المصنع.

فنظرت إليه بارتباك ثم سألته بقلق: «هل تكلمت مع نايجل؟»

وأدرك أنه فاجأها.

ـ قلت له منذ البداية إنها فكرة جنونية، لكنه لم يستمع اليّ. ظننته في البداية يعني أن عليّ أن أتحدث إليك في ردهة الفندق، لكنه عاد فأخبرني أنه استطاع أن يستعير المفتاح من المكتب.

- وهكذا صعدت إلى جناحي لتنتظريني، وأثناء ذلك طلبت شراباً.

فحدقت إليه: «كلا».

أنكرت ذلك بعنف فأدرك أنها الحقيقة. وهزت رأسها غاضبة: «ما كنت لأطلب شراباً دون أن أدفع ثمنه. لا، لقد طلبت من نايجل أن يرتب الأمر لأجلي. وظن نايجل أنه طلب لي عصير فاكهة وليس..».

وسكتت فجأة وهي تزم شفتيها وتحملق في ليو، ثم أخذت تقول: «لا أدري ما هي صلة كل هذا بما نحن فيه الآن».

لكن ليو كان يريد أن يعلم ما حدث بالضبط... ولماذا! : «وهكذا أثناء انتظارك لي شربت العصير الممزوج بالكحول، ثم..».

سمعت جودي ما يكفي، فقالت بغضب: «لا أريد أن أتحدث عن ذلك. ولا يمكنك أن ترغمني».

فقال يذكرها بلطف: «لقد وجدتك في سريري، ومما سمعته عنك، يا جودي مارش، يبدو هذا..».

فأنكرت بحدة: «لم يكن شيئاً. لم أكن واعية لذا دخلت سريرك دون أن أدري».

- تعترفين أنك نمت في سريري.

وسكت فجأة. لا فائدة من كل هذا الجدل، ولم يكن هذا ما يريد قوله. وقال بهدوء: «يبدو أنني أسأت الحكم على الوضع... أخطأت بالنسبة إلى أسباب وجودك هناك. وفي هذه الحالة، أرى حقاً أن نتحدث..».

فقفزت متوترة: «لا شيء بيننا لنناقشه».

حقيقة أنه قد يكون أخطأ في فهم دوافعها للنوم في جناحه، لم يشكّل فرقاً لشعورها إزاء ذلك: «ليس بيننا ما يقال»

قالت هذا مصممة على إنهاء حديثهما، لكن الذعر تملكها وهي تراه يرفض ترك الموضوع: «ربما هذا ما تظنينه أنت لكن شعوري مختلف. ودعيني أخبرك أن ليس من عادتي القيام بعلاقات عابرة مع سلسلة من نساء مجهولات».

أليس هناك نهاية لهذا الإذلال الذي أرغمتها تصرفاتها على معاناته؟

وردّت بحرارة: «على كل حال لم يحدث شيء بيننا، ولمعلوماتك الخاصة، لم يكن لدي سلسلة من الرجال. وفي الواقع..».

وسكتت فجأة وقد توهج وجهها. لا. عليها أن لا تخبره ذلك! وإلا سيبدأ بإلقاء مزيد من الأسئلة، وما من سبيل أبداً يجعلها تخبره عن شعورها الأحمق ذاك الذي تملكها حين رأته أول مرة في ردهة الفندق.

لا شك أن البعض قد يدعي أنها وقعت في حبه من أول نظرة، وأن هذا هو السبب... لكنها هي، جودي، مصنوعة من مادة أكثر صلابة وواقعية. إنها امرأة عصرية التفكير ولن تهتم لمثل هذا الهراء!

***

ما الذي غاظه منها حتى تمنى لو يمسكها ويجعلها تصغي إليه؟ أخذ ليو يتساءل شارد الذهن، غير قادر على منع نفسه من التركيز على وجهها متذكراً عناقها له... أراد أن يعانقها الآن، وهنا. لكنها كانت الآن استدارت متجهة نحو البوابة، وحذرته موجة مفاجئة من

www.elromancia.com

التعقل من أن يلحق بها بحماقة ويتوسل إليها أن تبقى بينما كان واضحاً أن هذه ليست رغبتها.

- جودي؟

ناداها في محاولة أخيرة للتحدث إليها، لكنها هزت رأسها كما كان يتوقع: «لا، أنا..».

لم تجد وقتاً تشهق فيه غير مصدقة قبل ان تجد نفسها بين ذراعيه، يعانقها... فحاولت ان تعترض، لكن ذلك سرعان ما تلاشى إزاء عناقه الملتهب الذي أدار رأسها وشتت تفكيرها، وهكذا بدلاً من استنكارها ورفضها له إذا بها تزداد اقتراباً منه، مادّة يديها إليه...

وفي أعماقها دق جرس إنذار محذراً، لكن جودي تجاهلته. كان ليو يعانقها ولا سبيل أن يقف بينها وبين هذه المشاعر العنيفة أي شيء، خصوصاً جرس الإنذار الغبي العتيق هذا.

- مممم...

شعر بخفقات قلبه المجنونة عندما تخلّت جودي فجأة عن أي مقاومة وأصبحت ناعمة ليّنة بشكل ساحر بين ذراعيه ما تلهف معه الى ان يحملها ويدخل بهاالبيت.

لكن تغريد عصفور فوق رأسها أعادها فجأة الى عقلها. انتزعت نفسها منه شاحبة الوجه وهي ترتجف. ما الذي جعلها تسمح بحدوث هذا؟ وتملكها الذهول لعدم تمكنها من السيطرة على نفسها، فصرخت به بصوت معذب: «إياك ان تلمسني مرة أخرى... أبداً».

ثم هربت والتعاسة تتملكها وقلبها يخفق ألماً وازدراء للنفس، رافضة ان تتوقف استجابة لندائه خلفها.

عندما وصلت جودي الى بيتها، كانت ما تزال ترتجف. كانت سمعت إشاعات في القرية بأن «منزل أشتون هاوس» استؤجر، ولكن لم يخطر ببالها قط انه قد يكون ليو جڤرسن. كان نايجل نبهها إلى أن ليو قال إن النقاش حول أي من المصانع التي ينوي إغلاقها يمكن أن يطول، ولكن لماذا اضطر للانتقال الى «فرامبتون» هنا؟

وشعرت بأنه لم يعد ثمة ناحية في حياتها لم يخترقها أو يغزوها!

أسرعت الى مطبخها وأخذت تجهز عشاءها، وكان نايجل سبق واتصل مقترحاً أن يتناولا العشاء معاً. لكن جودي أجابته بأنها مشغولة، خائفة من أن يزل لسانها فتخبره عن المظاهرة التي سيقومون بها.

وهذا لا يعني أن عملهم ضد القانون، لكنها تعلم ان نايجل لن يوافقها تماماً على اشتراكها بما سيحدث، وسيحاول جهده أن يصرفها عن ذلك.

كانت شغوفاً بابن عمها، فقد كانا أشبه بشقيقين، وكانت تعلم كم سيُصدم لو علم بأنها قضت ليلة في غرفة عازب. فقد كانت تشعر بالعار لذلك...

غصت بريقها، محاولة التركيز على ما تفعل، لكنها كانت قد فقدت شهيتها للطعام. عندما وقفت في الحديقة مع ليو، ونظرت إليه، شعرت بشيء لم تشعر بمثله في حياتها.

***

استيقظ ليو مجفلاً، متسائلاً في البداية أين هو، وذلك في غرفة نومه غير المألوفة. كان يحلم بجودي وليس للمرة الأولى. مدّ يده يشعل المصباح. كان البيت قد أعيد طلاؤه وما زالت رائحة الطلاء

خفيفة في الجوّ. نزل من سريره وسار الى النافذة يزيح الستائر وينظر الى الحديقة السابحة في ضوء القمر.

تذكر أثناء نومه شيئاً عن جودي أزعجه، وهو شيء لم يكن سجله في ذاكرته تماماً. لكنه شيء يقلقه! ما هذا الذي يشعر به تجاهها!

أهذا هو الحب؟

ستكون أمه مبتهجة للغاية لو وقع في الحب وأصبح لديها كنة تعجبها حتماً وتتباهى بها أمام مواطنيها الإيطاليين.

أووه، يا لها من أفكار خطرة حمقاء تتجاور في رأسه وفي لحظة جنونية! تساءل عما إذا كانت أمه نفذّت تهديدها وجعلت حكيمة القرية توجه إليه بعض سحرها المتعلق بالحب.

وعبس ليو. إنه يريدها، وبطريقة لم يعرفها من قبل.

إنه يريدها. يريدها... يا الله كم يريدها!

***

تأوهت جودي بخفة أثناء نومها، وشفتاها تشكلان اسم ليو، ثم استيقظت فجأة، فمحت حقيقة وضعها بهجة حلمها الضائع.

كانت تشعر بأمان أكثر عندما كان ليو يجهل هويتها. عندما كان لسبب ما، يظنها متفقة مع جبريمي دريسكول. جبريمي دريسكول! وارتعشت... يا له من رجل كريه!

إحدى النساء اللاتي سيشتركن في المظاهرة، قالت في اجتماع اللجنة إنها رأت جبريمي في المصنع، خارجاً من غرفة المخزن غير المستعملة. قالت إنه لم يرها، لكنه كان يتصرف بشكل ماكر يثير الشكوك.

لم يكن أي من العمال يحب جبريمي، وقد تساءلت جودي عما كان يفعله في المصنع بعد ان أصبح ملكاً لليو. لكن هذا شيء لا يعنيها... ما يعنيها هو أقرب إلى ذاتها من ذلك.

كانت على وشك ان تفضح نفسها هذا المساء عندما أخذ ليو يحقق معها. لقد كادت تخبره بأنها انجذبت اليه منذ اللحظة الأولى. لو عرف شعورها نحوه عندما رأته في ردهة الفندق، فإنها ستموت من الخجل والمذلة.

جذبت الأغطية فوقها، وكان أيقظها حلمها بأنها بين ذراعي ليو وهو يعانقها برفق زائد...

ماذا تراها تكون؟ مراهقة تغرقها الأحلام؟ انها لن تحلم به مرة أخرى، أبداً.

***

أول ما علم ليو عن المظاهرة، كان حين تلقى اتصالاً تليفونياً من محطة الراديو المحلية تسأله إن كان يريد أن يعلّق على الوضع.

ومن عدة اتصالات أخرى علم أن المظاهرة غير عنيفة وأنها تطالب بعدم اقفال المصنع.

الاجتماعات التي سبق له ترتيبها مع مجموعة كبيرة من ناقلي البضائع الذين اهتموا باحتمال امتلاك المصنع الواقع عند شبكة الطرق، كانت تعني أن ليو لا يستطيع أن يذهب بنفسه الى «فرامبتون» إلا في آخر النهار، لكنه تحدث مع قائد المجموعة لإقامة اجتماع معهم لبحث الوضع.

رغم أنه غير مستعد لقول هذا في هذه المرحلة، إلا أنه قرر فعلاً ان يبقي مصنع «فرامبتون» مفتوحاً. وطبعاً، ليس لهذا القرار صلة

بجودي مارش.

وفي آخر النهار، عندما اتصلت به الشرطة لكي يبلغوه أنهم ينوون مراقبة الوضع في المظاهرة، أخبرهم بأنه واثق من أن الأمور ستُحل بسلام. كانت الساعة الرابعة ولا سبيل له لمغادرة لندن قبل الخامسة. وابتدأ يتساءل: ما الذي تفعله جودي الآن؟ إنه حقاً بحاجة إلى أن يتحدث إليها.

***

نظرت جودي خلفها بشيء من القلق. لقد اشتركت في المظاهرة منذ ساعة، قادمة مباشرة من المدرسة. كانت الأمور في البداية هادئة، وأخبرها القائد بأن ليو جفرسن اتصل به لترتيب اجتماع في اليوم التالي. ثم، لدهشة الجميع، منذ نصف ساعة وصل جيريمي دريسكول. طلب، في البداية، فتح بوابة المصنع للسماح له بالدخول، وعندما رفضوا، خرج جيريمي من سيارته وتلا ذلك بعض الهرج والشجار لكن سُمح له في النهاية بأن يدخل إلى مبنى المكاتب.

كان ما يزال في داخله، ولكن بعد عشر دقائق وقفت سيارة شرطة على بعد عدة ياردات من المظاهرة وسرعان ما تبعها مصور ومخبر صحافي من الجريدة المحلية.

تغيّر الآن مزاج المعتصمين المسالم إلى مزاج عدواني، عندما خرج جيريمي من المبنى فرآه أحد المتظاهرين الذي كان جيريمي شتمه بكلمات بذيئة، وهو في طريقه إلى داخل المصنع.

وسمعته جودي يتحدى زميلها المتظاهر بقوله: «لا أظنك تعتقد حقاً أن هذا التظاهر يمكن أن يجعل جفرسن يغيّر رأيه فلا يغلق

المصنع».

فرد عليه الرجل: «لقد وافق على الاجتماع بنا عند الصباح».

ـ وأنت تظنه سيصغي إلى ما ستقولونه له؟ يا لك من مخدوع! لقد سبق وقرر أن هذا المكان عقيم. ومن يلومه بالنسبة إلى عماله الكسالى الذين لا يصلحون لشيء، عمال مثلكم جميعاً؟ لقد اضطررنا إلى بيع المصنع بسببكم. كل شخص يعلم هذا...

شهقت جودي ساخطة وهي تسمع ذلك، وقاطعته بحزم: «هذا غير صحيح».

فالتفت جيريمي إليها وقال بصوت خافت: «يا إلهي، أهو أنت؟ كان عليّ أن أتكهن بذلك».

وشخر ساخراً وهو يلقي على جسمها المكسو بالبنطلون الجينز والقميص المقفل نظرة فاسقة، ثم يتابع: «هذا لن يزكيك لدى اللجنة المدرسية، ولكن، طبعاً، ستقفل مدرستك الغالية مع المصنع، أليس كذلك؟ سأحصل على قطعة الأرض لأنني فوقها».

وابتسم منتصراً وهو يسير نحوها. وحاول البعض أن يمنعه لكنه كان أسرع منهم، مع أن أحد الرجال حاول أن يقف بينهما ليحميها. كان فتى صغير السن لا يعادل القوة التي دفعه جيريمي بها جانباً.

رد الفتى الصغير على الأذى بمثله. وفجأة بدا لجودي وكأن جهنم فتحت أبوابها، فقد أخذ الناس يصيحون ويتدافعون، وانفتحت أبواب سيارة الشرطة. ثم وقبل أن تتحرك، كان جيريمي قد أمسك بها وأخذ يجرها في فناء المدرسة.

حاولت أن تقاومه وقد تملكها الذعر، وأخذت تضربه بيدها بينما

تعمّد هو استعمال العنف معها. كان خوفها يشابه خوف أي امرأة من رجل تعرف أنه عدوها، وليس له صلة بدورها في المظاهرة. جرها جيريمي نحو أحد ضباط الشرطة الأماميين مدعياً بأنها شتمته، وسمعته جودي يقول وهو ينظر إليها بلؤم: «أصرّ على أن تقبض عليها يا سيدي الضابط، وربما أرفع دعوى قذف».

حاولت أن تحتج ببراءتها، لكنها كانت قد دُفعت نحو «ڤان» الشرطة التي كانت تزعق وهو تتوقف بجانب السيارة.

وطرفت جودي بعينيها إزاء وهج ضوء الكاميرا بينما المصور الصحفي يأخذ صورتها.

***

كان مخفر الشرطة مزدحماً، ولم تكن جودي تصدق ما يحدث لها. وأخذ رقيب أول رزين الهيئة لا تعرفه يلقي اتهاماته على الجميع. كانت جودي تشعر بالغثيان والصداع والخوف والوضاعة وعلى ذراعها رضّة من أثر قبضة جيريمي العنيفة.

- الاسم...

أجفلت جودي عندما أخذ رجل الشرطة يتحدث إليها.

- جودي مارش.

لم تستطع أن تفكر في ما سيظنه بها آباء التلاميذ المتحفظين، هذا عدا السلطة التعليمية أو مجلس إدارة المدرسة.

- المعذرة، يا حضرة الضابط.

كانت حتماً على وشك الإغماء وهي تسمع صوت ليو جڤرسن الذي لا يمكن أن يخطئه سمعها، يأتي من خلفها مباشرة.

شيء في تصرف ليو الهادىء أثار انتباه الضابط، فوضع قلمه

ونظر إليه.

وصل ليو إلى بوابة المصنع في الوقت المناسب ليسمع من الذين ما زالوا موجودين، ما حدث.

قال له أحد الشهود: «نعم، حتى إنهم أخذوا معلمة المدرسة».

وتساءل المتكلم عما جعل قوله هذا الرجل يستدير عابساً على الفور عائداً إلى سيارته.

قال ليو يقدم نفسه إلى الضابط: «أنا ليو جڤرسن، صاحب المصنع».

فقطب الضابط جبينه: «صاحب المصنع، حسب ما هو مسجل لدينا، السيد جيريمي دريسكول الذي أبلغنا بأن هناك مشكلة».

فأجاب ليو بحزم: «ربما، ولكن من المؤكد أنني أنا صاحب المصنع. هل لك أن تخبرني بالضبط عما حدث يا حضرة الضابط؟ المظاهرة، كما فهمت، كانت مسالمة وقد رتبت أنا الأمر بحيث أجتمع معهم صباح غد».

- حسناً، ربما هذا ما حدث، يا سيدي، لكننا تلقينا اتصالاً تليفونياً من المصنع من السيد دريسكول قال إنهم لم يسمحوا له بالمغادرة وإنه، هو والمصنع، مهددان بالعنف... وعندما ذهبنا إلى هناك حدث بعض الهرج، وهذه السيدة الشابة حاولت أن تشتم السيد دريسكول.

توهج وجهها لهذه الإهانة وقفزت على الفور للدفاع عن نفسها بإنكار ذلك: «أنا لم أفعل شيئاً كهذا. إنه هو الذي هاجمني..».

وتملكها الذعر وهي تشعر بالدموع تملأ عينيها بشكل صبياني. وكان ليو جڤرسن يقول: «أظن في الأمر خطأ».

www.elromancia.com

رغم أنها لم تستطع أن تنظر إليه، شعرت به يزداد اقتراباً منها ولسبب جنوني شعرت بجسدها يحاول أن يستمد الحرارة والحماية منه.

قال ليو كاذباً بهدوء: «أنا أعرف الآنسة جودي مارش جيداً جداً. وهي في الواقع، كانت في المصنع بالنيابة عني، وبصفتها نائبة عني لا أتصور لحظة أن من الممكن أن تشتم السيد دريسكول».

قطب الرقيب أول جبينه: «حسناً، رؤسائي أبلغوني بأنه يصرّ على القبض عليها. قال إنه يريد أن يرفع دعوى قذف عليها».

أطلقت جودي شهقة صغيرة مختنقة.

وقال ليو: «في هذه الحالة، سيكون عليّ أن أرفع دعوى ضده بتهمة التعدّي على أملاك الغير، ذلك أنه لم يحصل قط على إذن مني بدخول المصنع ، كما أنني أتصور أن مصلحة الضرائب سيهمها جداً أن تعلم ماذا كان يفعل هناك. إن هناك بعض دفاتر الحساب المفقودة هم متلهفون جداً لرؤيتها».

أجفلت جودي قليلاً لسماعها هذا، والتفتت إليه على الفور تخبره بسرعة: «والدة أحد تلاميذي ذكرت أنها رأته يخرج من إحدى غرف التخزين في المصنع».

وتلاشى صوتها وهي ترى كيف كان ليو ينظر إلى ذراعها ثم يسألها بصوت مخيف: «هل دريسكول هو المسؤول عن هذا؟»

ودون انتظار جواب منها قال بحزم وتصميم: «فهمت أنك ربما عليك أن تتهم الآنسة مارش يا حضرة الرقيب أول. ولكن لا أدري إن كنت تستطيع أن تطلق سراحها على كفالتي وأعدك أن لا أدعها تغيب عن نظري».

أخذ الرقيب يتفحصهما، هما الاثنين. لم تكن لديه زنزانة خالية، ولم يرى مانعاً من أن يطلق سراح جودي إذا كان ليو جڤرسن مستعداً أن يكفلها.

ـ حسناً جداً، ولكن عليك تحمل مسؤوليتها كاملة، والتأكد من عودتها إلى هنا صباح الغد لكي توجه إليها التهمة رسمياً إذا أصرّ السيد دريسكول على متابعة الدعوى.

ـ لديك كلمتي ضماناً لذلك.

وقبل أن تقول جودي شيئاً، أدارها وهو يقودها إلى الباب برفق ليخرجا إلى هواء الليل.

تملكها الذعر وهي تكتشف أنها كانت تبكي. وسمعته يقول لها وهو يقودها إلى السيارة: «إنها الصدمة. ستكونين بخير عندما نأخذك إلى البيت».

ـ أريد أن أغتسل، وأريد أيضاً بعض الملابس النظيفة.

ـ يمكنني أن أقدم لك الحمام، أما الملابس فعلينا أن نمرّ لإحضارها من بيتك في طريقنا إلى بيتي.

ـ بيتك؟ لكنني أريد أن أذهب إلى بيتي.

ـ يؤسفني أنك لن تستطيعي ذلك، فقد أفرج الضابط عنك بكفالتي كما تعلمين. عليّ أن آخذك إليه صباح الغد.

ـ ولكن لا يمكنني البقاء معك.

ـ آسف يا جودي، أنت مضطرة لذلك.

ـ أنا لم أشتم جيريمي حقاً. إنه الذي. . .

وسكتت تعض شفتيها وهي ترى العنف في عيني ليو وهو يلتفت ليتأملها: «لو كان سبّب لك ضرراً. . . هل فعل ذلك يا جودي؟»

عندما حوّلت نظراتها عنه شتم نفسه لعنف لهجته، فقد صدمها وأخافها بشكل واضح. هذا بالإضافة إلى خوفها السابق هذه الليلة. وقال هو يتجه عائداً إلى القرية: «ظننت المظاهرة ستكون مسالمة».

- كانت كذلك، لكن جيريمي واجه الأمر بعنف، وبشكل ما خرجت الأمور عن السيطرة. هل صحيح أنه استدعي إلى التحقيق؟

- نعم، ولكن ما كان لي أن أقول ذلك في الحقيقة.

عندما وصلا إلى كوخها أصر على الدخول معها، وانتظر حتى حزمت بعض ضرورياتها، وكانت مشتتة الذهن للغاية فلم تستطع المعارضة.

تصرف جيريمي نحوها جعلها تشعر بالعجز، وتذكرت حين ربحت معركتها معه بشأن الأرض كيف هددها بالثأر. كان رجلاً منتقماً خطيراً. وفي هذه الليلة بالذات، على الأقل، رغم اشمئزازها، عليها أن تعترف بالواقع، وهي أنها ستشعر بالأمان إذا هي نامت تحت سقف ليو جفرسن، أكثر بكثير من شعورها بذلك تحت سقفها.

* * *

٦ - غرد عصفور القلب

- متى أكلت آخر مرة؟

سألها وهو يفتح باب بيته ويشير إليها بالدخول، فنظرت إليه مترددة إزاء سؤاله العادي هذا، وكانت تقوّي نفسها لمواجهة عدائه أو على الأقل بعض الأسئلة الحادة العنيفة.

- منذ الغداء، لكنني لست جائعة.

أجابته بذلك دون وعي بينما انتباهها موجه إلى مشاعر أعمق مستوى.

فقال بلطف: «هذا لأنك ما زلت مصدومة. المطبخ من هذه الجهة».

في ظروف أخرى، كانت ستبتهج لرؤية داخل المنزل الذي يفتنها، لكنها شعرت الآن بأن قدرتها على تناول أي شيء قد محته أحداث هذا النهار.

وكما قال، رأت أنها، فعلاً، تعاني من صدمة وإلا لماذا تسليمها ليو قيادها في القيام بكل شيء لأجلها؟ تركته يقودها بحزم إلى المطبخ ويدفعها للجلوس على كرسي، بينما أخذ يشغل نفسه بفتح الخزائن ثم الثلاجة، مصراً بأن العشاء الخفيف الذي سيطهيه

www.elromancia.com

سيساعدها على النوم، مضيفاً بعد دقائق وهو يقدم إليها طبقاً لذيذاً من البيض المقلي: «وهذا يذكرني مع الأسف، بأن عليك أن تنامي في غرفتي، لأنها الوحيدة المفروشة حالياً. يمكنني أنا أن أنام على أريكة في الطابق الأسفل».

ـ لا.

اعترضت على الفور راجية أن لا يدرك سبب احمرار وجهها فجأة. مجرد التفكير في أن تنام في سريره يرعبها.

وتملكها الذعر وهو يهز رأسه لرفضها الغريزي ويقول بهدوء: «لا بأس، يمكنني أن أخمن ما تفكرين به، ولكن لا ينبغي أن تقلقي».

أجفلت، كيف يمكنه أن يعلم ما تفكر فيه؟

وإذا كان يعرف، كيف يجرؤ على أن يعاملها وكأنها...؟

وعندما حاولت أن تستجمع أفكارها بشكل منطقي لتتحداه، سمعته يتابع: «فرقة التنظيف جاءت اليوم، وغيروا أغطية السرير».

إنه لم يدرك ما كانت تفكر فيه. لكن كلامه منحها على الأقل وقتاً تستعيد فيه أفكارها، وتتذكر أن المفروض فيها أنها فتاة ناضجة متعقلة.

وقالت له بصوت حاولت أن يكون عملياً هادئاً: «لا يمكن أن أحتل سريرك».

ـ ولماذا لا؟ فقد فعلت هذا من قبل.

قال هذا بلطف وهو ينظر إليها متهكماً. فشحب وجهها ثم عاد يتضرج احمراراً، وشعرت بيديها ترتجفان بشدة. دعابته هذه لم تخجلها فقط، وإنما جعلتها تشعر بالمذلة أيضاً كما شعرت أن عيناها

تغرورقان بالدموع وتهددان بإظهار ضعفها له. ولكن، وهي تغالب دموعها هذه بعنف، كان هو يعتذر: «آسف، ما كان لي أن أقول ذلك».

وسكت وهو يتأملها، معنفاً نفسه لجرحه مشاعرها. لقد حيّره سرعة تغيّر مشاعره نحوها حالما علم بخطأ تقييمه الوضع. آخر ما يريد أن يفعل هو أن يؤلمها بأي شكل. قال بهدوء: «أناأعلم أنه ربما هذا الوقت غير مناسب لقولي هذا. لكننا حقاً بحاجة إلى أن نتحدث يا جودي..».

فوضعت فنجان الشاي من يد غير ثابتة وسألته بقدر ما يمكنها من عنف: «هل لهذا أحضرتني إلى هنا؟ لكي تحقق معي؟ إذا كنت تظن أنك بإنقاذي من قضاء ليلة في السجن ستجعلني أعترف لك بأسماء المشتركين في المظاهرة، الأفضل أن تعيدني حالاً إلى المخفر..».

فقاطعها بما أمكنه من رفق: «جودي، لا أريد أن أتحدث معك عن مشاكل المصنع والمظاهرة».

عندما رأى الارتياب في عينيها تساءل عما ستقوله لو أنه أخبرها أن ليس في ذهنه حالياً سوى مشكلة واحدة وشخص واحد هو هي، جودي. وقال بهدوء: «سبق ورتبت عقد اجتماع مع ممثلي عمال المصنع غداً، حيث أنوي مناقشة عروض لمستقبل المصنع معهم».

فشعرت بإرهاق مفاجيء لم تعد معه تستطيع التفكير: «نعم، سمعت بذلك. ماذا هناك إذن تتحدث عنه معي؟»

رأى ليو مبلغ تعبها فعنف نفسه لأنانيته. إنها ما زالت تعاني من الصدمة، وهي بحاجة إلى راحة واسترداد قواها، وليس لأن يزعجها بالأسئلة. فقال بلطف: «هذا غير مهم. اسمعي، لماذا لا تذهبين

للنوم؟ تبدين منهكة تماماً..».

ومدّ يده يساعدها على النهوض عن الكرسي. وعندما شعرت بأنه سيلمسها، تأهبت حواسها للدفاع، مدركة تماماً أي ضعف سيتملكها لدى أي احتكاك بينهما الآن. قفزت واقفة فكادت تتعثر في سرعتها لتتجنب الاحتكاك به، فتقع في نفس الأمر الذي كانت تريد أن تتجنبه. وعندما تقدم ليجنبها السقوط، أمسك بذراعيها، فسقطت عليه.

لم يمرّ سوى أسبوع على معرفتها به... قبضة من الأيام، وهذا كل شيء، فما الذي جعل ردة فعلها تجاهه وكأنها تكاد تموت حباً به، كلما حدث أي احتكاك مفاجيء بينهما؟ كان الاستلقاء على صدره يشعرها بالسعادة والأمل... يجعلها تشعر بالعافية مرة أخرى، بالقوة البالغة والضعف العاجز. شعرت بأنها وجدت هدف حياتها الذي خلقت لأجله، وفي نفس الوقت كرهت نفسها لمشاعرها نحوه.

وبصمت، أخذت تدفعه عنها تريد التحرر منه.

أطاعها ليو وسألها بصوت أجش: «هل أنت بخير؟».

ـ نعم، أنا بأتم خير.

قالت هذا وهي تبتعد عنه، مستترة بالظلال كيلا يرى المشاعر على وجهها.

كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد؟ ومن أين جاءتها هذه المشاعر التي كانت غريبة عنها تماماً بعنفها وحدتها؟

أمسك ليو لها باب المطبخ لتمر، فخرجت إلى الردهة وهي ترتجف. ورافقها إلى أسفل السلم فصعدت وقلبها يخفق بعنف ولم تجرؤ على النظر إليه ولا أن تفعل شيئاً يفضح شعورها نحوه.

ـ الباب الثاني إلى اليسار. وستجدين مناشف نظيفة وكل شيء في الحمام. سأحضر لك حقيبتك وأضعها عند باب الغرفة.

أدركت أنه بقوله هذا، وكأنه يقول إنه سيعاملها بلطف لا بشك وريبة كما حدث في المرة الماضية.

وقف يراقب مشيتها المتعبة، متلهفاً إلى الذهاب خلفها واحتضانها بين ذراعيه يحميها. ثم استدار سائراً نحو سيارته ليحضر حقيبتها.

عاد بالحقيبة إلى جودي حيث وضعها قرب باب الغرفة ونقر الباب ثم عاد يهبط السلم ويحبس نفسه في غرفة الجلوس.

كانت جودي واقفة عند النافذة تنظر منها عندما سمعت صوت النقر. عدّت إلى العشرة، ببطء بالغ، قبل أن تذهب لتفتح الباب حيث حدثت نفسها بأنها ارتاحت ولم تشعر بخيبة الأمل عندما وجدت المكان خالياً دون أثر لليو.

بعد أن أصبحت بمفردها، أخذت تفكر في الصباح وإمكانية مواجهة الإتهامات التي هدد جيريمي بمواجهتها بها. وهي توقعات مثبطة للهمة في الواقع، ولكنها لا تماثل في التثبيط اعترافها بمبلغ قوة شعورها نحو ليو.

تكوّمت في سرير ليو، كانت ملاءات السرير تنطق بالنظافة، خالية من أي أثر لليو كالغرفة نفسها. أغمضت عينيها وهي تتكوّر في منتصف السرير لكنها بالرغم مما يتملكها من إرهاق، جافاها النوم.

كانت أكثر تعباً من أن تنام، وأدركت أن القلق يملأ أفكارها رافضاً أن يسمح لها بالراحة. وأغمضت عينيها وأخذت تتنفس ببطء وعمق.

www.elromancia.com

***

وفي الطابق الأسفل، كان ليو مثلها يعاني من الأرق. كان لديه عمل يملأ أفكاره ووقته، لكنه وجد نفسه يذرع أرض غرفة الجلوس مفكراً في جودي، قلقاً لأجلها وليس فقط لهذا الوضع الشاذ بالنسبة إليهما معاً بسبب قضائهما ليلتهما معاً.

ذلك الرضّ في ذراعها الذي أحدثه جيريمي دريسكول جعله يتمنى لو يمزق ذلك الرجل عضواً عضواً ويلقي بجثته إلى أول وحش مفترس. مجرد التفكير في أنه حتى لمس جودي...

توقف فجأة عن السير. ما الذي حدث له؟ هل هو حقاً بحاجة إلى هذا السؤال؟ وسخر من نفسه. إنه يحب!. هذا هو الحب... لقد تحوّل إلى رجل لا يكاد يعرفه، رجل يتصرف ويفكر بشكل غير قانوني... رجل تقوده مشاعره. رجل هو حالياً...

جمد مكانه وهو يسمع صوتاً في الطابق الأعلى، ثم أسرع نحو الباب يفتحه في الوقت الذي سمعه فيه مرة أخرى. إنه صوت حاد مرتفع يعبّر عن تعاسة امرأة.

صعد ليو السلم درجتين درجتين، ليفتح باب غرفة النوم بدفعة واحدة ثم يدخل متوجهاً إلى حيث ترقد جودي وسط السرير. وكانت مستيقظة، فقد رأى عينيها تلمعان في الظلام وهي تستلقي صامتة لا تجرؤ على الحركة أو حتى التنفس.

ـ جودي، ماذا حدث؟

تملكتها موجة من الارتياح وهي تسمع صوت ليو. وكانت ترتجف، فقد كانت تحلم بجيريمي دريسكول. وكان كابوساً فظيعاً مليئاً بأشخاص وتفاصيل مرعبة للغاية، وكانت صرختها المرتاعة

للغاية هي التي أيقظتها ليتسارع خفقان قلبها بعد دخول ليو ظناً منها أنه جيريمي.

لكن صوته الآن طمأنها، مبدداً ذلك الكابوس تماماً. وجعلها الارتياح التام لا تفكر إلا في أنه أنقذها من ذلك الكابوس المرعب. واستدارت إليه تخبره: «رأيت كابوساً مرعباً للغاية عن جيريمي دريسكول..».

مجرد ذكرها اسمه جعلها ترتجف وهي تجاهد للجلوس بشكل صحيح لكي تستطيع وصف الأمر لليو الذي كان الآن ماثلاً على السرير نحوها.

رأت القلق في عينيه بعد أن اعتادت عيناها الظلام.

ـ آسفة لإزعاجي لك.

وسكتت وهي تراه ما زال في كامل ثيابه.

هل أربكة غرفة الجلوس غير مريحة ما جعله لا يزعج نفسه بمحاولة النوم عليها، أم أنه مازال مرتدياً ثيابه فقط لأنها في منزله؟ هل هو خائف من أن تحاول أن تغويه للمرة الثانية؟

ـ ما هذا؟ ماذا حدث؟

السرعة التي قرأ فيها أفكارها فاجأتها. وبالإضافة إلى أحداث النهار، أنهكها هذا تماماً، فقالت بصوت خافت: «أنت ما زلت مرتدياً ثيابك. أنت لم تذهب إلى السرير. إذا كان ذلك بسبب...؟».

فقاطعها: «هذا لأن السرير الوحيد الذي أريد أن أرقد فيه هو محرّم عليّ، إلا إذا غيّرت رأيك وشاركتني فيه».

كان يعلم أنه يفعل بالضبط ما نهى نفسه عن عمله بأي شكل،

www.elromancia.com

وأنه يتصرف كقطاع الطرق، مستغلاً ضعفها واعتمادها عليه، لكنه مع ذلك لم يستطع منع نفسه. مجرد منظرها جالسة في سريره، وذراعاها تطوقان ركبتيها وهي تنظر إليه بتشكك، كان كافياً لكي يعلم أنه مستعد لأن يدخل جهنم وكل جهنم بعدها في سبيل أن يأخذها بين ذراعيه مرة أخرى، ويحتضنها ويعانقها.

شعرت بأنها ترتجف إلاّ أنه تأوه هاتفاً باسمها بعد أن لم يعد يستطيع منع نفسه عنها. مدّ يديه يأخذها بين ذراعيه وقد ضاع اسمها على شفتيه.

كانت تعلم أن عليها أن تقاومه، وأن تصرّ على أن يتركها، فلماذا هي تتعلق به دون خجل؟ بينما قلبها يغرد، كانت تشعر الآن بين ذراعيه وكأنها ميت قد بعثت إليه الحياة، فقد كان يعانقها بشكل كاد قلبها يتوقف معه.

أخذت جودي ترتجف، وسمعت نفسها تقول دون اقتناع: «هذا خطأ».

ـ أعلم هذا، لكنني لا أستطيع منع نفسي.

ـ لا أريدك أن تمنع نفسك.

أحقاً قالت هذا؟ وأذهلها عدم تمكنها من التحكم في نفسها. مالت إلى الأمام تضمه أكثر، وعاد قلبها يغرد. ما هذا القوة التي يملكها هذا الرجل عليها...

شعر ليو بنفسه يرتجف من رأسه حتى قدميه، غير قادر على السيطرة على عنف تجاوبه معها. شعر وكأن كل إحساس فيه قد تضاعف ألف مرة.

أدرك أن هذا ليس مجرد شهوة. هذا هو الشيء الكبير الأكبر.

وهي، جودي، له، وحده. لكنه أدرك بالغريزة أنه لا يستطيع أن يخبرها بذلك. ليس الآن. الوقت لم يحن بعد، ما كانا يبنيان بينهما ما يزال هشاً للغاية.

ـ جودي.

همس باسمها مرة أخرى وهو يأخذها بين ذراعيه، وشعرت هي وكأنها ستنفجر لقوة المشاعر التي تختلج في أعماقها.

حدثت نفسها بأنها حسنة الحظ لأنها ليست مراهقة وإلا لخدعها ظنها بأن طريقة نظره إليها تعني أنه يحبها حقاً.

كانت تعلم أن عليها أن تنهي الآن ما يحدث بينهما قبل أن تصبح الأمور صعبة. وكانت تشعر بالخوف... ماذا تفعل؟ وماذا سيظن بها؟

كانت خائفة من نفسها ومنه ومن كل شيء وكانت تشعر بالضياع... ما تفعله يخالف مبادئها. إنها مديرة مدرسة... إنها... ولكنها تريد... وتصارعت جميع الأفكار في رأسها... وفجأة بدأت الدموع تنهمر من عينيها وتحوّل بكاءها نحيباً... أين احترامها لنفسها.

شعر ليو بدموعها فارتدّ عنها... وعندما رأى نحيبها، شعر بالذنب... فقد كان منذ قليل يستغل ضعفها ليحصل على ما يتوق إليه قلبه... أهو بلا شفقة؟... أهكذا يحوّل الحب المرء؟... كان يشعر بالذنب يتآكله.

ـ جودي... أعتذر منك. لقد تماديت.

وعندما أراد أن يضع عليها يده... شعر بارتجافها.

ـ حسناً، سأتركك الآن تستريحين وغداً سيكون لنا حديث.

٧ ـ الحب جنون

ابتسم ليو راضياً عندما وضع سماعة التليفون بعد حديث مع الشرطة استمر نصف ساعة.

وقبل ذلك أمضى خمس دقائق متوترة حازمة يتحدث تليفونياً مع جيريمي يبلغه بحقيقة أنه سيرفع دعوى ضده لدخوله أملاك الآخرين إذا استمر في اتهامه جودي بأي شيء. ثم سأله إن كان لديه دليل مادي على ذلك القذف المفترض من جودي مثل الدليل المادي الذي على ذراعها لمزاولته العنف معها؟

وحاول جيريمي أن يتهرب متلعثماً لكنه أذعن أخيراً.

لكن المناقشة مع الشرطة كانت أقل سهولة. أولاً، الضابط الأعلى قال له ببرودة إنهم لا يتساهلون أبداً بالنسبة الى العنف في المظاهرات.

اعترض ليو بقوله إنهم كانوا ينوون أن تكون المظاهرة سلمية وإنه بصفته صاحب المصنع لم يجد ضرورة للشكوى من عماله، ولهذا من المؤكد أنه بإمكانه السماح للقضية بأن ترتاح. وكما يبدو، اكتشف ليو أن الشرطة لم تحجز أياً من المتظاهرين لقضاء الليل في المخفر، فقط جودي ربما كانت الوحيدة التي تواجه الإتهام. وذلك لدعوى

القذف التي تقدم جيريمي بها ضدها.

وفي النهاية وافق الضابط على أنه ما دام جيريمي مستعداً لإسقاط دعوى القذف، لم تعد هناك قضية حقيقية تستدعي حضور جودي إلى المخفر. ولم يعد لدى ليو سوى ساعة على موعد اجتماعه مع عمال المصنع.

بعد أن اغتسلت وارتدت ملابسها وقفت جودي على قمة السلم مترددة، فهي لا تفهم ما يحدث لها...

مع قلقها لما سيواجهها عندما تذهب إلى المخفر، كانت أكثر اهتماماً بالنسبة إلى مشاعرها نحو ليو. مشاعرها؟ متى ستكون لديها الشجاعة لتسميها باسمها الصحيح؟

حبها!

صوت ضئيل يتراوح بين الإنكار والتأوه حدّثها بهذا من أعماقها. لقد عاملها بشهامة البارحة وتركها تنام... إنه رجل شريف... لو تصرف معها بغير تلك الطريقة لكانت لديها حجة للابتعاد عنه.

عندما ابتدأت تهبط السلم، ظهر ليو فجأة في الردهة ووقف يحدق فيها ما جعلها ترتجف لاهثة ضعيفة إزاء قوة حبها له.

ـ أنهيت لتوّي التحدث مع الشرطة.

ـ نعم. لم أنس أن عليّ أن أعود إلى المخفر.

قالت هذا بسرعة وقد استطاعت أن تمنحه نظرة متكبرة متوترة: «لا أدري ما هي الرسميات التي عليّ أن أتبعها، وأظن أن علي استدعاء محامٍ».

وكان صوتها متهدجاً رغم محاولتها السيطرة عليه.

ـ لا فائدة من ذلك...

وسكت وهو يرى القلق في عينيها وقد شحب وجهها، فسارع يقول: «جودي، كل شيء على ما يرام. أنا... حسناً، قررت الشرطة أن لا حاجة بك للذهاب إلى المخفر».

لم يكن ليو يدري تماماً لماذا قرر أن لا يخبر جودي عن دوره في ذلك القرار. شعر فقط بأن ذلك هو الصواب.

ـ لا حاجة بي إلى الذهاب؟

لم يكن صوتها وحده الذي كان يهتز، فقد رأى ليو جسدها يرتجف ارتياحاً. الحافز الذي شعر به كان يدفعه إلى أن يأخذها بين ذراعيه ويخبرها بأنه لن يسمح أبداً لأي شيء بأن يخيفها أو يؤلمها مرة أخرى، هذا الحافز كان من القوة بحيث جعله يتقدم بضع خطوات قبل أن يستطيع إرغام نفسه على التراجع.

كانت جودي مقتنعة بأنها لا بد أساءت فهم ما قاله لها: «أتعني أن لا ضرورة لذهابي حالياً اليوم؟»

ـ أعني أن ليس عليك أن تذهبي على الإطلاق. انتهى الأمر يا جودي وليس عليك أن تقلقي لذلك.

ـ ولكن ماذا بالنسبة إلى جيريمي دريسكول؟

ـ يبدو أنه غيّر رأيه.

واستدار مبتعداً عنها أثناء كلامه. لم يكن يريدها أن تشعر بضغط عليها على الإطلاق.

إنه يعتقد أن لديه الحق في أن يشرح شعوره الآن وكيف أن مقاومته مشاعره عائدة، جزئياً، إلى سوء حكمه عليها، لكنه لن يستعمل أي نوع من الابتزاز ليرغم جودي على القول بأنها تشعر بنفس الشيء.

ـ اسمعي يا جودي، عليّ أن أذهب قريباً، ولكن قبل ذلك هناك شيء أريد أن أقوله. أعتذر لأنني حاولت إغواءك الليلة الماضية... ما كان لي أن أستغل ضعفك... إنها غلطة منّي.

كانت تقوي نفسها للعاصفة التي تعلم أنها على وشك الهبوب.

ـ فلندخل المطبخ. أعددت قهوة وأنت لا بد جائعة.

جائعة!

ـ ظننتك مستعجلاً للخروج.

ـ لديّ موعد عليّ أن أحضره، ولكن بإمكاني أن أتكلم أثناء تناولك الطعام.

تأكل؟ إنها تعلم أن لا سبيل لها إلى ذلك. ومع ذلك سمحت له بأن يضع طبق الحساء أمامها، وسكب القهوة لهما معاً قبل أن يبدأ القول بهدوء: «في المرة الأولى التي اجتمعنا فيها أسأت الحكم عليك كلياً يا جودي. ليس بالنسبة إلى الوضع فقط، بل إليك أنت أيضاً».

سكت وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة بينما تصلب جسدها دفاعاً: «أنا قلق يا جودي، وهذا بشأن... تأثيرنا في بعضنا البعض..».

وسكت وهز رأسه: «اسمعي يا جودي... ما أحاول أن أقوله هو أنني رجل... لا أريد أن..».

خفق قلبها بعنف ونظرت إليه بذهول صامت. ماذا يريد أن يقول... لا أريد أن أراك!... أيخاف من تأثيرها فيه، ويريد ألا يراها ثانية؟

برد الدم في عروقها. كانت تتوقع منه أن يخبرها بأنه كاد يخطىء

بحقها الليلة الماضية... فهو لا يريد أن يتورط معها... وأن رغبته فيها ليست سوى رغبة جسدية بحتة عليها ألا تحملها على محمل الجد. ولكن أن تعلم أن تفكيره وصل إلى حد الرغبة في عدم رؤيتها أبداً... آلمها. آلمها أكثر مما تستطيع احتماله. وفي نفس الوقت أغضبها أكثر من أي شيء آخر قاله أو فعله.

ما الذي كان يقلقه حقاً؟ أن تستغل رغبته فيها لتحقيق مآرب مادية؟..

ودون تفكير قالت بحدة وسرعة: «لا يمكن لي... أن أسمح بحدوث شيء كهذا».

كان تصرفها غريزياً فورياً. كيف يمكنها أن تستمر في حبه وهو لا يريدها؟

بدت متأكدة مما تقول إلى حد قطّب معه جبينه.

ـ لا تفهميني خطأ!

ـ لا لقد فهمتك جيداً... ماذا تظنني؟ فتاة شارع قد تستغل علاقتها بك لتحصل على مآرب مادية. أنت... أنت شخص وضيع.

قالت هذا وقفزت من مكانها مندفعة إلى خارج المطبخ وهي تقول له ببرودة بالغة: «سأجمع حاجياتي وأخرج في هذه اللحظة. ولا أريد أن أراك مرة أخرى أبداً. منذ اللحظة التي جئت بها إلى «فرامبتون» جئت بالتعاسة وجعلت الحياة صعبة بالنسبة لكل إنسان، ودعني فقط أقول لك إن لا سبيل إلى أن تراني ثانية... أعدك بذلك».

* * *

ـ هل أنت واثقة من أنك ستكونين على مايرام؟

حملقت جودي فيه وهو يفتح لها باب السيارة لتصعد. أغاظها الى أقصى حد أن يرغمها على أن يوصلها إلى بيتها بسيارته، بعد انفجارها فيه ذاك.

ـ حسناً، سأكون في بيتي أحسن كثيراً مما كنت في بيتك.

قالت هذا بلهجة ثلجية وهو يصرّ على أن يحمل لها حقيبتها إلى باب بيتها ليطمئن على دخولها بسلام.

وعندما خضعت برغمها للإغراء بأن تنظر إليه يبتعد بسيارته، تملكها الخوف البالغ على مستقبلها، والغضب من نفسها.

إنها بالتأكيد، أنضج بكثير من أن تستسلم لهذه العواطف الحمقاء.

***

عندما ابتعد ليو عن كوخ جودي، اكتشف أنه كان يصرف بأسنانه. آخر ما يفكر فيه الآن هو الجلوس إلى مائدة المناقشة. الشيء الوحيد الذي يريده هو أن يمسك جودي ويخبرها بشعوره نحوها، وكيف ستكون حياته من دونها.

لقد فهمت كلامه على غير محمل حين قال إنه يخشى منها أن تستعمله مادياً ـ يا إلهي ـ لا أدري كيف يعمل عقل المرأة!

(لا تغلطي، يا جودي مارش، أنت تريدينني)

وتملكه الذعر وهو يدرك أنه يحدث نفسه بصوته الذي كان يملأ السيارة. لا عجب في قولهم إن الحب نوع من الجنون!

***

أنهكها كل ما حدث أكثر مما تريد أن تعترف به، واكتشفت فجأة أنها متلهفة إلى الخلاص بالنوم. إنها بالغة الطاقة في العادة، لكنها

www.elromancia.com

في اليومين الماضيين شعرت بإنهاك جسدي.

ما أيقظها في النهاية هو صوت جرس الباب. وإذ أدركت أنها استغرقت في النوم بكامل ملابسها، هبطت إلى الطابق الأسفل وقلبها يخفق وهي تتساءل عما إذا كان هذا ليو.

لقد آلمها بشدة أن تعلم لهفته للابتعاد عنها وحرصه على أن تعلم أنه لا يريد رؤيتها وأنه يخشى تأثيرها فيه.

على كل حال، لم يكن الزائر ليو بل نايجل ابن عمها. وعندما أدخلته كان يلوّح أمامها بصحيفة.

ـ أنت على الصفحة الأولى. ألم تري الجريدة بعد؟

على الصفحة الأولى؟ وأخذت منه الصحيفة تتصفحها، ووجهها يشتعل ذعراً وارتباكاً وهي تتفحص الصورة التي تبدو فيها مقبوضاً عليها.

قال نايجل مازحاً وهو يسير إلى المطبخ: «كنت متوقعاً أن أضطر إلى كفالة ابنة عمتي المتزمتة لتخرج من السجن. لكن ليو سبقني، كما فهمت».

ـ من أخبرك بذلك؟

فنظر إليها ساخراً: «اتصلت بمخفر الشرطة، ومن القراءة بين السطور، بدا أن ليو زاول ضغطاً جهنمياً على جيريمي دريسكول ليجعله يتراجع عن دعواه ضدك».

أن يتراجع؟ وقطبت جبينها: «لكن ليو قال إن جيريمي غيّر رأيه؟»

ـ نعم، ولكن ربما فقط بعد أن أنذره ليو بأنه إن لم يفعل ذلك، سيغيّره هو له، ويبدو أن ليو تحدث تليفونياً مع الشرطة قرابة نصف

الساعة هذا الصباح، مصرّاً على أنه لا يريد توجيه اتهامات لك أو لأي من العمال. يبدو لي أنه لا بد يفكر فيك كثيراً جداً، يا ابنة العم، لكي يزعج نفسه إلى هذا الحد لأجلك. ألا يمكن أن تكون هذه هي القصة القديمة المعتادة عن الحب بين خصمين؟

وضحك، لكنه سكت وهو يرى اليأس على وجهها الشاحب. فسألها: «هل أنت بخير؟»

فأجابته كاذبة: «بأحسن حال».

ـ أتحبين أن نخرج الليلة لنتعشى خارجاً؟

فهزت رأسها: «لا. لدي أعمال عليّ أن أنجزها للمدرسة قبل الإثنين».

كان نايجل قد أصبح عند الباب عندما عاد يلتفت إليها: «كان ليو في اجتماع مع ممثلي المظاهرة هذا الصباح. هل لمّح لك بما قرره؟ بالنسبة للمصنع؟».

ـ لا، ولماذا يفعل؟

رأته ينظر إليها بقلق: «هناك شيء خطأ. أنت لست كعادتك».

ـ لا شيء خطأ، أنا متعبة فقط وهذا كل شيء.

شعرت بالذنب لكذبها على نايجل الذي كان أحسن أصدقائها إلى جانب أنه ابن عمها. ولكن ماذا بيدها أن تفعل غير ذلك؟ تبع إنكارها هذا صمت قصير غير مريح، استدار بعده ليفتح باب الخروج.

نظرت جودي إليه وهو يخرج. كانت حادة الطبع معه وعليها أن تعتذر له وتشرح أمرها ولكن ليس الآن. حالياً هي غير قادرة على أن تقوم بأي شيء معقول، كل ما تريده هو أن تفكر في ليو وما أخبرها

به نايجل.

شغل بالها أن تعلم أنه تدخل مع الشرطة لأجلها. بينما جعلها تعتقد أنهم هم الذين اتصلوا به وليس العكس، كما قال نايجل. وغاظها أن تعلم أنها مدينة له، وإن يكن هذا لم يشكل أي فرق إزاء ما عناه هذا الصباح. لا سبيل إلى ذلك، إنها لن تصفح عنه لسوء رأيه بها. لكنها كانت تعلم أن عليها أن تشكره لما فعله لأجلها وكلما أسرعت بهذه المهمة كان ذلك أفضل!

وصرفت بأسنانها ثم صعدت لتغتسل وتغير ملابسها.

***

رأى ليو جودي وهي تسير صاعدة الطريق إلى الباب الأمامي لبيته (آشتون هاوس). كان واقفاً في غرفة مكتبه وقد أنهى لتوّه اتصالاً تليفونياً مع شريكه الجديد في عملية نقل البضائع وتوزيع الأعمال التي ينوي تعيين مواقعها عند المصنع الواقع شبكة الطرق.

وكما أبلغ ممثلي عمال مصنع «فرامبتون» منذ فترة، قرر الآن إبقاء ذلك المصنع مفتوحاً، لكن عليهم أن يثبتوا له أنه قام بالأمر الصواب، وذلك بزيادة الإنتاج ليضمن أن يبقى عمله في مستواه التنافسي مع منافسيه خارج البلاد.

رغم أنه كان يوماً صيفياً حاراً، كانت جودي ترتدي بذلة بنطلون رسمية المظهر للغاية، وتحت السترة قميص أبيض.

وبعكسها كان ليو قد غيّر ملابسه إلى ثياب خفيفة لكن هذا لم يمنع جودي من التفكير في مبلغ قوته ورجولته الفياضة، عندما فتح الباب لها قبل أن تلمس الجرس، يدعوها إلى الدخول.

لماذا، آه، لماذا شعورها هذا نحوه؟ ألمها لحبها له كان مرتبطاً

بغضبها الشديد من قسوة رفضه لها هذا الصباح. وعندما دخلت المنزل خلف ليو، قالت بحزم: «جاء نايجل لرؤيتي، قال إن عليّ أن أشكرك لأنني لم أضطر للذهاب إلى المخفر هذا الصباح».

الطريقة التي قالت بها هذه الكلمات، بتلك النظرات المحاربة، جعلت ليو يشتم ابن عمها نايجل بصمت.

- جودي...

لكنها هزت رأسها تقاطعه: «هل هذا صحيح؟»

فقال بلطف: «لقد وافقتني الشرطة على أن ليس هناك سبب لتعقيد الأمور».

- الأمر صحيح إذن؟ لماذا فعلت ذلك؟ هل لتجعل لك فضلاً عليّ؟ ولماذا تريد ذلك؟ لتنفض يدك مني نهائياً؟

قالت هذا متهكمة فقال: «اسكتي للحظة».

وجاء دورها لتسكت بينما أخذ يحملق فيها بغضب بالغ.

هل تظنه حقاً يريد منها الابتعاد عنه؟ وخلف غضبه، في أعمق أعماقه، كان يشعر بألم يمزق قلبه.

حدثت جودي نفسها بأنها لن تتراجع، أو تجعله يشعرها بأنها على خطأ. عليه أن يتحمل وجودها. فهي لن ترحل ولو طلب منها ذلك.

كل العذاب الذي تشعر به تدفق في داخلها. فقالت متجاهلة التوتر الذي بينهما والغضب المتوهج في عينيه: «أنت لا تهتم، أليس كذلك؟ المشاعر، حياة البشر، كل هذا لا يهمك. فأنت سعيد جداً بأن تغلق المصنع وتترك الناس دون عمل..».

في أعماقها كانت تراه بطلاً، وجلاً غير عادي، يملك كل

www.elromancia.com

الفضائل التي تعشقها نساء العالم، خصوصاً غريزة حماية من هم أضعف منه. وهكذا آلمها ان تدرك كم كانت مخطئة للغاية.

سمع ليو ما يكفيه. كيف تجرؤ على اتهامه بالخلوّ من المشاعر؟ لو كان قاسياً عديم الاهتمام كما تتهمه، حالاً ستصبح بين ذراعيه... وهو...

عندما أخذ يجاهد للسيطرة على مشاعره العنيفة لم يستطع أن يمنع نفسه من القول بعنف: «إذا كانت هذه طريقتك في إقناعي بأن أبقي المصنع مفتوحاً، دعيني أخبرك بأن الطريقة التي استعملتها في غرفتي في الفندق هي اكثر تأثيراً بكثير».

أدرك ليو منذ اللحظة التي نطق بها بهذه الكلمات أنه أخطأ، لكن الوقت فات لاستعادتها.

أهي آهة تلك التي صدرت عنه؟ تساءلت بغضب أنثوي عنيف. حسناً، إنه يستحق أن يتألم.

غضبها فقط هو الذي منعها من الانفجار. كيف انحدر إلى حد أن تقذفها بتلك الكلمات؟ حسناً، سيعلم حالاً أن بإمكانها أن تكون كريهة مثله!

ـ لو كنت أظن أن هذه الطريقة ستنجح، وأنك لن تنكث بالعهد في أي اتفاقية تعقد من وحي اللحظة، لجازفت بذلك.

وقالت ذلك بحلاوة مصطنعة سرعان ما تحولت إلى برودة وهي تقول بصوت متنفذ: «لكنني لو كنت مكانك..».

ـ هل كنت ستقومين بالأمور بشكل مختلف؟

فالتفتت إليه وألقت عليه نظرة أخيرة غاضبة وهي تقول: «حسناً، لو كنت مكانك لتأكدت من حقيقتي قبل أن ألقي بالتهم حولي. لن

أسمع المزيد من هذا».

ثم خرجت قبل أن يستطيع منعها، تاركة إياه وهو يشتمها ذهنياً، ويشتم نفسه.

لماذا لم يخبرها ببساطة أنه وجد طريقة يبقي بها المصنع مفتوحاً؟ لماذا؟ لأن كرامته اللعينة الغبية لم تسمح له بذلك.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ كلمة تجرح . . وكلمة تداوي!

كانت جودي تسمع همهمة متحمسة تدور بين مجموعة من الآباء والأمهات قرب بوابة المدرسة. نظرت إليهم بحيرة. يوم الإثنين كانت العادة أن يتم تسليم الآباء العمل لبعضهم البعض بهدوء. لكن المزاج هذا الصباح كان متفائلاً جداً بعكس مزاجها وهي تقف، عندما سمعت من يناديها باسمها من أمهات التلامذة: «هل سمعت الأخبار؟ أليسَ هذا رائعاً؟ لم أكد أصدق عندما عاد جون صباح السبت وقال لي إن ليو جفرسن أعلن أنه سيبقي المصنع مفتوحاً».

حدّقت جودي إليها.

هل فعل هذا؟ لكنه أخبرها. . . وقبل أن تتمكن من التفكير بوضوح، اشتركت معهما في الحديث أمٌ أخرى ضحكت بحرارة وهي تهنىء جودي على دورها في المظاهرة عند المصنع: «لقد دهشنا جميعاً وتأثرنا بالطريقة التي تحدث فيها ليو جفرسن عنك للمخفر، وأخبرهم بأنه لا ينوي أبداً أن يجعل الأمور تتفاقم، ثم علمنا أنه ينوي إبقاء المصنع مفتوحاً. لقد غيَّر هذا رأينا فيه جميعاً».

وابتسمت وهي ترمق جودي بنظرة لم تفهمها هذه ثم تتابع: «وطبعاً كنت تعلمين قبلنا جميعاً أن هذا سيحدث».

وابتدأ وجه جودي يتوهج. بينما أخذت المرأتان تتأملانها بتسلية، ما جعلها تدرك، دون فكرة مسبقة، لماذا لم تسمع إلا الآن فجأة ميرا فانشاو تهتف بحرارة: «حسناً، أنا شخصياً أعتقد أن هذا من عدم اللياقة كلياً. امرأة في مركزها. . . معلمة مدرسة. مديرة مدرسة. . . تطلق لنفسها العنان في علاقة من هذا النوع. لكنني يجب أن أقول إنني لست مدهوشة، تماماً. فأنا لم أوافق أبداً على بعض مناهجها في التدريس».

كانت ميرا تتحدث إلى إحدى الأمهات وظهرها إلى جودي. وعندما اقتربت جودي، همست المرأة الأخرى لميرا شيئاً بسرعة وقد توهج وجهها ارتباكاً. ولكن يبدو أن ميرا لم تشاركها ارتباكها هذا فقد ألقت برأسها إلى الخلف وقالت بصوت أكثر ارتفاعاً: «حسناً، آسفة، لكنني لا أهتم في الحقيقة لو سمعتني. فهي المخطئة في تصرفها بهذا الشكل. . . حيث تمضي الليل في جناحه في الفندق بشكل مكشوف، ثم تحاول أن تقنعنا جميعاً أنها تمثل الفضائل جميعها!»

شعرت جودي بالاشمئزاز وهي ترى نظرة الانتصار الحاقدة في عيني المرأة الأخرى. لم تحبها ميرا قط، وهي تعرف هذا، وأيضاً على جودي أن تعترف بأنها هي أيضا لا تحب ميرا.

ذكّرت نفسها، وإن تكن بغير حاجة إلى من يذكرها، بوضعها ومسؤولياتها بصفتها مديرة مدرسة. تنفست بعمق ثم واجهت المرأة الأخرى: «أظنني موضوع حديثكما، وفي هذه الحالة. . .».

فقاطعتها ميرا بفظاظة: «لن تستطيعي إنكار ذلك فهذا لن ينفعك. إيلي، موظفة الاستقبال في الفندق التي رأتك في الفندق عند

وصولك وعند مغادرتك في الصباح التالي، إيلي هذه هي ابنتي بالتعميد وقد عرفتك على الفور من صورتك في الجريدة. لم تصدق ما قرأت من أنك اشتركت في مظاهرة عند المصنع وهي تعلم أنك أمضيت الليل مع صاحبه».

هبط قلب جودي. ما تسمعه أسوأ مما توقعت، ورأت من وجوه النساء الأخريات أنهن ذهلن جميعاً مما سمعن.

كيف تدافع عن نفسها؟ وأية ظروف مخففة يمكنها أن تذكرها للتوضيح؟ وتملكتها الكآبة وهي تدرك أن ليس هناك مما تقوله يمكن أن يحسّن الوضع. وقول الحقيقة.. يجعل الأمور أسوأ!

وتابعت ميرا تقول: «هل تعلمين أنه، بالنسبة إلى مركزي في مجلس إدارة المدرسة، سيكون متوجباً عليّ أن أذكر الشكوك التي أثارها سلوكك في نفسي وكذلك صلاحيتك لتعليم أولادنا؟»

ـ أنا لم...

حاولت جودي أن تقاطعها لتدافع عن نفسها لكن ميرا هزمتها بقولها بصوت مرتفع: «وفوق كل شيء، قبض عليك البوليس. أعتقد أنه ينبغي إبلاغ «السلطة التعليمية» بالأمر، وإلا سيتملكني القلق على أخلاق ولدي التلميذ. لو كنت مكانك..».

وكانت تقول هذا مظهرة شعوراً عميقاً بالتقوى ما جعل بعض الأمهات يحملقن فيها بأعين مستديرة.

تملك جودي الارتياح عندما قرع الجرس يدعو التلامذة إلى صفوفهم ما منحها عذراً للهرب من معذبتها.

ربما من معذبتها، ولكن ليس من العذاب نفسه... كما فكرت بعد نصف ساعة من وقوفها أمام النافذة دون حراك.

لقد رأت النظرات ابتداءً من الرثاء وانتهاء إلى الفضول والنظرات الداعرة الكريهة... وذلك من الأمهات اللاتي كن يتابعن ردة فعلها إزاء فضح ميرا لأسرارها. كانت تعلم أن لدى ميرا السلطة لجعل الحياة صعبة أمامها وأمام أسرتها. من الطبيعي أن يهتم بقية أعضاء مجلس الإدارة باستقامة وسلوك مديرة المدرسة. ورغم أنه لم يكن من الممكن إحالتها إلى مجلس التأديب، إلا أنها لم تكن تحب طبعاً أن تكون على خلاف مع أعضاء مجلس الإدارة أو تحب أن يجلب طراز حياتها سمعة سيئة للمدرسة. أما بالنسبة لما قالته ميرا عن السلطة التعليمية، فقد تشككت في أن يكون مجرد تهديد، لكن ضميرها لن يسمح لها بأن تبقى في المدرسة ضد رغبات آباء التلاميذ أو في وضع يشعرهم بأنها غير مناسبة لتربية أولادهم.

وهبط قلبها. إذا كان على هذا أن يحدث...! إذا أصبحت في وضع تجد فيه أن من الأشرف لها أن تستقيل، بعد كل ما قامت به، وكل ما تحملته من مشقة... ولكن بماذا تدافع عن نفسها؟ وتملكتها الكآبة.

ابتدأ الصداع يتملكها.

كلام ميرا محا كل شيء ما عدا شعورها عندما علمت أنه، بعكس ما كان أخبرها، قرر عدم إغلاق المصنع. لماذا تركها تتهمه بهذا الشكل؟

كان وقت الغداء تقريباً عندما علم ليو بما حدث لجودي. فقد انشغل مع محاسبيه معظم الصباح، يراجعان نفقات التغيير الذي أحدثه في مصانعه التي اشتراها.

ولكن كل ما كان يفكر فيه حقاً في الصباح، ويقلق لأجله، كان

جودي والخصام الذي نشأ بينهما أمس. لماذا تركها تذهب بذلك الشكل؟

كان لديه اجتماع في المصنع، وعندما وصل إلى هناك، اكتشف أن جيريمي دريسكول كان ينتظره ليراه.

واجه ليو بغضب بالغ قائلاً: «أريد أن آخذ بعض الأوراق التي تركتها هنا. لكن أولئك المعتوهين الذين تركتهم للحراسة رفضوا السماح لي بدخول المخزن، والله يعلم تعليمات من هذه».

فقال ليو برصانة: «تعليماتي».

كانت هناك نسخة من الجريدة المحلية على المكتب، وقطب ليو جبينه وهو يرى صورة جودي على الصفحة الأولى.

ويبدو أن جيريمي رآها هو أيضاً، فشخر ساخراً وهو يقول: «الآنسة الصغيرة الطيبة! حسناً، قريباً سيعرف حقيقتها كل إنسان».

رأى ليو الحقد في عيني جيريمي الزرقاوين، فسأله: «ماذا تعني»؟

فأجابه هذا ضاحكاً: «ماذا تظنني أعني؟ لقد رأوها تغادر جناحك في الفندق، متسللة من الفندق في الصباح الباكر. قد يكون لهذا تأثير جيد عليك لكنني لا أظنه كذلك بالنسبة إلى آباء التلاميذ عندما يعلمون. مديرتهم تتسلل إلى جناح رجل في فندق ولا تغادره حتى الصباح... لن يدهشني أن يطلبوا استقالتها».

هبط قلب ليو وهو يصغي إليه. كان جيريمي بالغ الثقة بنفسه وهو يتباهى بهذا الشكل. يبدو أن هناك من رأى جودي وهي تغادر جناحه في الفندق.

أخذ ذهن ليو يبحث بعنف وسرعة عن طريقة يدافع بها عنها. لم

يكن هناك سوى شيء واحد يمكنه أن ينفع.

سمّر جيريمي بنظرة باردة ضجرة وقال له بهدوء: «آه، لا أظن ذلك. وعلى كل حال ما هو الخطأ في أن يمضي خطيبان الليل معاً؟»

نظر إليه جيريمي بحيرة ثم قال متحدياً: «خطيبان؟ إذا كان هذا صحيحاً لماذا لم يعرف به أحد؟»

ـ لأننا اتفقنا على عدم إعلان ذلك حالياً، وإن كان هذا ليس من شأنك أو شأن أي أحد آخر. آه، وبالمناسبة، فهمت من المحاسبين في المصنع أن مصلحة الضرائب اتصلت بهم بسبب بعض التلاعب في جهاز المحاسبة الذي كنت أنت وضعته مكان الجهاز القديم الذي التهمته النيران، بطبيعة الحال. وقد طمأن المحاسبون لديّ مصلحة الضرائب بأننا مستعدون لإعطائهم كل العون الذي قد يحتاجونه.

***

نظرت جودي أمامها على المكتب بتعاسة. هناك اجتماع لأهالي التلاميذ هذا المساء حيث المفروض فيها أن تتحدث عن خطط لزيادة نشاطات المناهج المدرسية المعدّة للتلاميذ. وتملكتها رجفة.

يمكنها أن تتصور مقدار الانتقاد والاستنكار اللذين سيواجهانها في الاجتماع، محدثة نفسها بأنها تستحق ذلك.

دخولها جناح ليو دون إذن منه، وشربها الكحول حتى ثملت، ثم النوم في سريره، وكأن كل ذلك لم يكن كافياً...

وقررت بتعاسة أنها ليست أهلاً لتكون معلمة ولا لتتسلم هذا المركز. كانت ميرا فانشاو على صواب وهي تنبهها إلى أن أهل التلاميذ سيأخذون عنها فكرة قاتمة للغاية لما فعلته.

يا ليت صورتها تلك لم تظهر في الجريدة! لكن هذا ما حدث.

وأجفلت وهي تسمع نقراً خفيفاً على بابها. احمرّ وجهها عندما أطلت هيلين ريدنغ، أقدم المعلّمات لديها، أطلت برأسها من الباب تسألها غير واثقة: «هل أنت بخير؟ فقط..».

فقط ماذا؟ أخذت جودي تتساءل بانكسار... إنها فقط سمعت بالأقاويل فهي تتساءل إن كانت صحيحة... وإذا كان كذلك، ماذا يمكنها، هي جودي، أن تفعل؟

وردت عليها: «آسفة. إنه دوري في درس الرياضة، أليس كذلك؟».

قالت هذا متجنبة عيني المرأة، عالمة جيداً أن غرضها من القدوم إلى المكتب ليس لتذكيرها بذلك.

فهتفت هيلين: «آه، لكنك لم تتناولي غداءك. يمكنني أن أنوب عنك في هذا الدرس إذا شئت».

وسكتت برهة ثم قالت بارتباك: «ميرا فانشاو في الملعب مع بعض الأمهات..».

وعندما قطعت كلامها فجأة قالت جودي: «لا بأس يا هيلين. يمكنني أن أخمّن ماذا يجري. وأظنك، أنت وبقية زميلاتك، سمعتن الأقاويل..».

شعرت جودي بشجاعتها تفارقها. وقالت هيلين باهتمام حقيقي: «لا يبدو عليك أنك بصحة جيدة. لماذا لا تذهبين إلى بيتك؟».

وتساءلت جودي بمرارة إن كانت هيلين تعني أن تذهب إلى بيتها قبل أن يزداد وضعها ضعفاً فلا تجد أمامها سوى الذهاب إلى بيتها... نهائياً؟

أجابت: «كلا، لا يمكنني أن أفعل ذلك».

وابتدأت تشعر بالمرض. الأقاويل، خصوصاً هذا النوع من الأقاويل ينتشر كالنار في الهشيم. متى تراها تصل إلى مسامع أسرتها وأصدقائها؟ ابن عمها؟ وأسرته؟

أمها وأبوها يستمتعان بتقاعدهما برحلة حول أميركا. لكنهما لن يغيبا طويلاً بكل تأكيد، ذلك أنهما مزهوان بها وبكل ما أنجزته للمدرسة. ولكنها ستخبرهما بالحقيقة وسيفهمان الأمر... ولكن ماذا عن الناس؟ وعندما غادرت هيلين مكتبها وأغلقت الباب خلفها، تنهدت جودي مشمئزة من نفسها.

هل ما تشعر به نحو ليو مجرد انجذاب؟ ولكن الانجذاب لا يؤثر في المشاعر كما تأثرت مشاعرها. الانجذاب لا يوقظ الشخص من أحلامه في الليل باكياً من الألم والخسارة لأنه اكتشف حقيقة الشخص الذي يحبه.

شعرت وكأن جودي تلك تنتمي إلى حياة أخرى! كيف جعلت نفسها في وضع كهذا؟ كانت تسمع دوماً أن الحب نوع من الجنون. الحب! إنها تدرك الآن أنها كانت على وشك أن تفقد سيطرتها على الواقع. لا سبيل إلى أن تداوم على التفكير في أنها تحب ليو جفرسن... لا سبيل إلى ذلك!

***

نظر ليو إلى ساعته. كان يحضر اجتماعاً طوال بعد الظهر، لكنه أصبح حراً أخيراً.

كان واعياً تماماً إلى أن من الفطنة البالغة أن ينبه جودي إلى «خطبتهما»، ولكن بعد طريقة افتراقهما آخر مرة، تملكه الشك في أن الاتصال بها تليفونياً سينفع. لا بد أن المدرسة الآن أقفلت لهذا النهار

فلم يبق أمامه سوى الذهاب إلى بيتها في القرية ليخبرها بما حدث، وأنه عندما يتبدد الغضب العام، يمكنهما أن يعلنا بهدوء انتهاء خطوبتهما. مجر تذكّره نظرة جيريمي دريسكول الداعرة وهو يخبره عن الأقاويل التي تتناول جودي، كان يكفي ليشعر ليو بالإجرام وبأن له الحق في أن يحمي جودي بالطريقة الي يختارها هو، وحتى الآن رأيه أن أحسن ما يمكن عمله هوأن تضع خاتمه في إصبع يدها اليسرى ...خاتم الزواج. كان إيطالياً حقاً اكثر مما كان يدرك، وكان يفكر في ذلك عابساً وهو يتوجه الى سيارته.

وهذا ذكّره بأن عليه ان يتصل بأسرته تلفونياً. الزيجة التي وعد أمه بها يجب ان تؤجل... على الأقل حتى يطمئن الى أن جودي بخير.

ـ فهمت أنك ستحضرين الاجتماع هذا المساء.

أجفلت جودي عندما تركت ميرا فرانشاو أمهات التلاميذ المجتمعين قرب بوابة المدرسة لكي تواجهها: «الآن بعد أن حصلت على خطيب ثري تهتمين به، لا أظنك ستهتمين بمستقبل المدرسة أو تلاميذها. أليس كذلك؟»

خطيب ثري؟ لها هي؟ما هذا الذي تفعله ميرا؟.

كانت جودي تتساءل بملل. إنها لا تتذكر أنها شعرت يوماً، بعد انتهاء اليوم الدراسي، بمثل هذا الإنهاك، لكن هذا اليوم لم يكن عادياً طبعاً. وهي تشعر بأن كل ما تريده هو أن تنام.

كانت ميرا الآن واقفة أمامها، وعيناها الصغيرتان الباردتان تضيقان بالعداء وهي تتابع: «أرجو أن لا تظني لأنك مخطوبة لليو جفرسن، لن توجّه اليك أسئلة معيّنة، من الأمهات إن لم يكن من

مجلس الإدارة، و..».

فأسكتتها جودي بحدة: «لحظة واحدة، ما الذي تعنينه بالضبط عن أنني مخطوبة لليو جفرسن؟».

أخذت تتساءل من أين حصلت ميرا على هذه الفكرة الخيالية الفظيعة لتنشرها في الأنحاء بأسرع ما تستطيع كما رأت من مراقبة الموجودين لهما.

فقالت ميرا بازدراء: «لقد فات الوقت الآن على أن تتخذي صفة الحذر أو البراءة، إنما لا بد لي من القول بأنني، بصفتي أماً، أظن أن امرأة في مركزك كان يجب أن تتخذ الصفتين معاً بدلاً من جلب سوء السمعة للمدرسة».

ـ ميرا...

ابتدأت جودي تقول عابسة. ثم سكتت عندما تراجعت مجموعة صغيرة من الأمهات عن البوابة للسماح لسيارة مرسيدس كبيرة بأن تقف خارجها. وعندما خرج ليو منها، أعلنت ميرا تقول: «ها قد جاء خطيبك. أرجو أن لا يظن، لأنه اشترى المصنع بثمن بخس، محتالاً على الأسرة ليبيعوه المصنع رغم إرادتهم، كما أخبرنا جيريمي... فهذا يعطيه أي نوع من المركز أو السلطة محلياً! كان جيريمي محترماً جداً من عماله»..

قالت ذلك بعدم اعتبار للحقيقة ما جعل جودي لا تصدّق أذنيها.

كان ليو قد وصل إليهم الآن، ولسبب لم تكن جودي تريد أن تحلله، اكتشفت أن جزءاً صغيراً منها شع بالرضى لوجوده.

لكن هذا لا يعني أن لديه الحق في التواجد هنا، ليزيد الوضع سوءاً بوضعه يده على ذراعها بشكل المتملك، ثم ينحني ليمسح

وجنتيها بقبلة وهو يهمس في أذنها: «سأشرح لك الأمر عندما نكون وحدنا..».

ثم ابتعد عنها قليلاً ليقول بصوت مرتفع: «آسف لتأخري، يا حبيبتي، هناك ما أعاقني».

ودون أن يمنحها فرصة تقول فيها كلمة، قادها إلى سيارته وأصعدها إليها قبل أن يصعد هو إلى مقعد القيادة بجانبها.

انتظرت حتى أصبحا خارج مرمى الأنظار ثم سألته وهي ترتجف: «هل لك أن تفسر لي ما يجري، ولماذا تظن ميرا فانشاو أننا مخطوبان؟».

فسألها بحيرة: «ميرا فانشاو؟»

ـ المرأة التي كانت معي عند وصولك.

قالت هذا بفروغ صبر. وكانت تشعر بالتعب والاستياء والجوع ورغبة سخيفة في أن تتوسل إلى لبو ليوقف السيارة لتستطيع أن تريح رأسها عل كتفه ثم تستغرق في بكاء بهيج عنيف هو من القوة بحيث كاد يهزمها كلياً.

ـ إنها صديقة حميمة لجيريمي دريسكول و...

ـ آه، أحقاً؟ لا عجب في أنها تعلم بخطبتنا.

فتأملته غاضبة: «خطبتنا؟ أية خطبة؟ لسنا مخطوبين».

ـ ليس رسمياً.

فقاطعته ثائرة:

ـ ولا بأي شكل.

فقال بهدوء: «لم يكن لديّ خيار، يا جودي. فقد أخبرني دريسكول أنهم رأوك خارجة من جناحي في الفندق ذلك الصباح.

وكان يبدو..».

وسكت لا يريد أن يخبرها كيف كان وضع جيريمي وافتراضه كريهين، فقالت بحرارة: «أنا أعلم ما تريد قوله. رأوني أغادر غرفتك، ما يعني أنني امرأة ساقطة وغير صالحة كلياً للتعليم في مدرسة أطفال أبرياء. بالله عليك، كل ما فعلته هو النوم في سريرك، لا معك... وهذا لا يعني..».

وذعرت عندما اغرورقت عيناها بالدموع وبدت مشاعرها العنيفة في صوتها... فحاول أن يطمئنها: «جودي، أنا أعرف تماماً ما يعني هذا وما لا يعني. لكن تلك المعرفة هي بيننا نحن الاثنين فقط. أنت تعلمين ما أقوله أليس كذلك؟».

سألها هذا برفق، وعندما لم تجب بل حوّلت نظراتها عنه إلى خارج النافذة، رأى احمرار وجهها فتألم لأجلها.

ـ لا أظنك ستهتمين بشكل خاص لو أنني أعلنت في صفحة كاملة من الجريدة المحلية بأن لا شيء حدث بيننا في تلك الليلة.

ـ هذا لا يعني أن عليك أن تدعي بأننا خطيبان.

ـ فعلت هذا لأحميك.

لكي يحميها! كيف يدعي هذا بينما ألمح سابقاً بأنه يريد ألا يراها ثانية... وتملكتها التعاسة... هل هذا مجرد خدعة ساخرة؟

فقالت بغضب: «أنت غير مسؤول عن حمايتي».

ـ ربما ليس في نظرك.

قال هذا بجد مفاجيء بطريقة جعلت قلبها يخفق بمشاعر أنثوية خالصة نحو رجولته البالغة وقوته، ومبلغ تلهفها إلى الاعتماد على قوته والتماس السلوى والحماية والحب...

لكنها لا تستطيع طبعاً! ولا ينبغي لها ذلك...!

- في نظري أؤكد لك أنني أعتبر ذلك مسؤوليتي تماماً. أنت لست وحدك التي تملك سمعة عليها أن تصونها، كما تعلمين.

قال هذا بصوت موجز إلى حد مؤلم جعلها تلتفت إليه، وسرعان ما ندمت على ذلك بعد أن أثار مشهد جانب وجهه الشوق في نفسها طارداً أي شعور آخر.

يجب أن لا تشعر نحوه بشيء كهذا، كما حدثت نفسها بذعر. عليها ألا تتوق إليه، أو تحبه...

وصدرت عنها آهة هي بين الألم واليأس فقال: «كيف تظنين تأثير ذلك عليّ عندما ينتشر بين الناس، أنا أنا وأنت...؟».

- أتعني أنك تقوم بهذا لأجل نفسك وليس لأجلي؟ هذا هو الأمر إذن؟

فقال بحزم: «أنا أفعل هذا لأنه حالياً هو خيارنا الوحيد».

شعرت بنفسها تضعف. ستكون راحة كبرى لها أن تدع ليو يستلم المسؤولية... أن تدعه يقف بينها وبين استنكار الناس.

وأن تدع الناس يعتقدون أنه يحبها وأن...

لا. لا يمكنها أن تفعل هذا! لأنها إذا فعلت ستصبح في خطر تصديق ذلك هي نفسها.

وهزت رأسها رافضة بعنف: «لا! لن أختبىء خلفك يا ليو. لن أكذب، لن أدعي... قد يكون وجودي في غرفتك خطأ وغير أخلاقي في نظر بعض الناس. ولكن في نظري، الأسوأ من ذلك هو أن أكذب بشأنه. إذا شاء الناس أن ينتقدوني أو يدينوني عليّ إذن أن أقبل حكمهم عليّ، وأن أقبل نتيجة سلوكي».

عندما أخذ ينظر إليها فيرى الخوف يتصارع مع الكرامة في عينيها، امتلأ إعجاباً بصدقها وإشفاقاً على ضعفها. كانت صادقة للغاية وساذجة للغاية، وعليه أن يحميها من نفسها بقدر ما هو من الآخرين.

وعندما اتجه بسيارته نحو منزله (آشتون هاوس) قال لها بخشونة: «سيصلبونك. هل تريدين حقاً أن تخسري كل ما عملت لأجله يا جودي؟ المدرسة وكل إنجازاتك».

فقالت مجاهدة لإخفاء الألم الذي شعرت به: «هناك مدارس أخرى».

أوقف سيارته فأدركت أين هما: «لماذا أحضرتني إلى هنا؟ أريد أن أذهب إلى بيتي».

وسكتت وهزت رأسها قائلة بعجز: «لا يمكننا أن نكون خطيبين. هذا ليس... نحن لا..».

فقال مبدداً ما بقي لديها من ضبط للنفس: «علينا أن نكون كذلك يا جودي. لا نستطيع أن نكون غير ذلك».

فقالت بتعاسة: «خذني إلى بيتي. لدي اجتماع الليلة، فإذا لم أذهب سيكون لدى ميرا فانشاو مناسبة رائعة للكلام ضدي».

***

جلست جودي على أريكتها الصغيرة. كان الاجتماع من السوء بقدر ما كانت تخاف بالضبط حيث حاولت ميرا فانشاو بوضوح أن تحوّله إلى مناقشة أخلاقية تريد بذلك أن تخجل وتذل جودي قدر إمكانها. لكن جودي لم تكن دون مساندين فهناك عدة أشخاص

جاؤوا يهنئونها على خطبتها بحرارة حقيقية.

وقالت إحدى الأمهات متعاطفة معها: «لا بد أن الأمر بينكما كان صعباً، حين كان خطيبك يريد أن يغلق المصنع بينما أنت ملتزمة بأن تبقيه مفتوحاً. على كل حال، الحب يهزم كل شيء، كما يقولون».

أخذت جودي تفكر بتعاسة في أن الحب قد يفعل هذا، لكنها لن تعرف أبداً ما دام ليو لا يحبها.

رن جرس تليفونها، وهذه المرة توقعت أن يكون المتكلم نايجل. رفعت السماعة، فقال: «أنت جواد رابح، أليس كذلك؟».

فهبط قلبها: «أنت سمعت إذن».

ـ طبعاً سمعت... كل المدينة سمعت. آه، وبالمناسبة، اتصل الأبوان بي يسألان متى بإمكانهما أن يتعرفا إلى الخطيب. أظن أمي ستتصل بك عصر هذا النهار.

فصرخت بذعر: «ماذا؟ لكنني لا أريدهما أن يعلما..».

فقال بحيرة: «ماذا؟».

ـ أعني أنني لا أريدهما أن يعلما الآن، لأنني أريد أن أخبرهما بنفسي وبكل ما حدث بهذه السرعة...

ـ نعم، وبسرعة بالغة. لقد صدمت قليلاً عندما علمت أنك أمضيت ليلة مع ليو في فندقه، خصوصاً بعد أن عاملته أمام الناس في حفلة العشاء وكأنه عدوك رقم واحد.

ـ آه، يا نايجل.

ثم سكتت. كيف يمكنها أن تشرح لابن عمها ما حدث؟ وإذا لم تستطع أن تشرح له هو، كيف يمكنها أن تفعل هذا لأي شخص آخر؟

عندما أخبرت ليو أنها لا تريد أن تورط نفسها في الخداع أو

تختبىء خلفه، كانت تعني ما قالت، لكنها أدركت الآن فجأة أن الأمر ليس بهذه السهولة، وأن هناك أناساً آخرين في حياتها عليها أن تراعي مشاعرهم.

مضت عدة دقائق بعد انتهاء حديثها مع نايجل، وهي تعض شفتها مفكرة، ثم تناولت سماعة التليفون.

طلبت رقم ليو بأصابع مرتجفة. مجرد سماعها صوته جعلها بأجمعها ترتجف، وقالت بصوت أجش: «أنا جودي. كنت أفكر في ما قلته بالنسبة إلي... إلى خطوبتنا... وأنا الآن موافقة..».

وعندما لم يجب ليو، جفّ فمها. ماذا لو أنه غيّر رأيه؟ ماذا لو أنه لم يعد يهتم بسمعته أو يشعر بمسؤوليته، كما كان قال عن حمايتها؟

ثم سمعت صوت السماعة توضع مكانها فجأة فتملكها الغثيان. لقد غيّر رأيه!

ماذا ستفعل الآن؟

وبعد ذلك بعشر دقائق وكانت قد تكومت على أريكتها، قطبت جبينها وهي تسمع جرس الباب يُدق.

لا بد أنه نايجل! وسارت لتفتح الباب. ولكنه كان ليو، وعندما خطا إلى ردهتها وعندما حدقت إليه ذاهلة قال: «ما أعلمه أن على الخطيبين أن يحتفلا بخطبتهما، مع الانعزال والسرير. والأفضل أن يكون السرير واسعاً والعزلة طويلة الأمد، ولكن بما أن خطبتنا لن تكون عهداً مدى الحياة، فسنلغي الانعزال والسرير».

ونظر إليها، فشعرت أن وجهها كان يحترق ليس بالخجل بل بالغضب، كما أدركت مع شعور بالذنب.

وقال بلطف: «وطبعاً، إذا كنت تفضلين الخيار الأول..».

فنظرت إليه ساخطة: «ما أفضّله هو أن لا أكون في هذا الوضع على الإطلاق».

وعندما ابتعدت عنه تساءل عما ستقوله لو أنه حملها بين ذراعيه وسار بها إلى مكان منعزل ليقبلها هناك حتى يشبعها حباً...

ثم ماذا؟ تخبره بأنها تحبه؟ تساءل ساخراً من نفسه ثم سألها بلطف: «كيف سار اجتماع الأمهات؟».

فقالت بجفاء: «منحت خطبتنا المجال لمختلف وجهات النظر».

ولم تخبره بأن ميرا قررت أن واجبها الأخلاقي يدفعها إلى إبلاغ السلطة التعليمية عن الوضع.

فقال ليو برقة: «إنها مجرد زوبعة في فنجان. بعد ستة أشهر سيكون كل شيء منسياً».

ليس هذا ما قاله من قبل عندما أصر على أن السبيل الوحيد إلى حماية وظيفتها هو أن يعلنا خطبتهما. وعضت شفتها. ومع ذلك، قد ينساها ليو في ستة أشهر لكنه هي لن تنساه أبداً.

- بل علينا أن نحتفل. ماذا لديك لنشربه؟

- أنا أكره الإدعاء والخداع، ولهذا من الخطأ أن نحتفل بهذا التقليد الشاعري بشيء هو مجرد زيف... وادعاء...

- جودي!

بعث صدقها الصريح غير المتوقع غصة في حلقه. بدت حزينة للغاية، رصينة العينين وحبيبة إلى حد أراد أن يأخذها بين ذراعيه و...

- هذا ليس...

- أرجوك، لا أريد أن أناقش هذا أكثر من ذلك.

ثم نهضت وأخذت تسير في أنحاء الغرفة بقلق.

كانت تعلم ما كان سيقوله، و أن عدم الصدق غير مهم بالنسبة إلى الظروف. ربما هو غير مهم بالنسبة إليه لكنه مهم بالنسبة إليها خصوصاً أن هناك شيء مؤلم بشكل لا يطاق... وقالت بصوت مختنق: «أريد... أريدك أن تخرج الآن».

تردد ليو لحظة، بدت له ضعيفة هشة للغاية إلى حد أراد أن يبقى معها... كما بدت شاحبة متعبة أيضاً...

أخذ يتفحصها مرة أخرى مقطباً جبينه: «جودي، لا أدري ما أقوله لك الآن».

فقالت بحدة: «لا تقل شيئاً».

تملكتها المرارة. لو كانت تساءلت، عما إذا كانت أساءت الحكم عليه، فقد أثبت لها الآن أنها لم تسيء الحكم. وإذا كانت أيضاً من الحماقة بحيث رأت نوعاً من العاطفة في حضوره إلى بيتها الليلة والأشياء التي قالها لها، إذن فقد أدركت خطأها تماماً.

قالت بفتور: «أنا متعبة وأريدك أن تخرج..».

قالت هذا وسارت إلى الباب، فتبعها. وعندماجلس في سيارته أخذ يتساءل عما كان يرجو أن يستفيد من تصرفاته تلك. هل ظن حقاً أن مجرد اتصال تليفوني منها ليحتفلا بخطوبتهما الزائفة سيغيّر من عدم حبها له؟ وقرر وهو يعود إلى بيته أنه ربما كان أحمق لكنه ما زال رجلاً شريفاً، ويريد أن يطمأن تماماً إلى أن جودي وسمعتها مصانتان،

سواء شاءت هي ذلك أم أبت. أما الآن فهما خطيبان في نظر الناس، وقريباً ستلبس خاتمه لإثبات ذلك.

* * *

٩ ـ مشكلة اسمها الحب

لم تستطع جودي أن تمنع نفسها من أن تحدق في الخاتم الماسي السوليتير الهادىء المتألق والذي لا عيب فيه، الذي تلبسه.

كانت قد عارضت أن يشتري ليو خاتماً لها، لكنه رفض الإذعان، وما لبثت أن أذعنت هي ضعفاً وجبناً.

دعاها عمها وزوجته مع ليو إلى حفلة عشاء، وكانت تعلم، كما كان ليو نبهها، أن عمها وزوجته، يتوقعان أن يريا الخاتم في أصبعها.

ولهذا فقط سمحت لليو بأن يشتري لها خاتماً. وأصرت في البداية على أن يكون الخاتم زائفاً رخيصاً، لكن اقتراحها هذا أغضب ليو إلى حد صدمها فأذعنت.

لم يُسمح لها بأن تعرف ثمن هذا الخاتم الذي اختاره لها. حاولت أولاً أن تختار أصغر ماسة، لكن ليو أصرّ على أن تجرب عدة خواتم قبل أن يعلن أن الخاتم السوليتير هو الذي أعجبه.

كان اختياره صدمة أخرى لجودي، لأن هذا الخاتم هو ما كانت ستختاره هي في ظروف مختلفة. والآن، وهي تجلس بجانبه في السيارة، لم تستطع منع نفسها من أن تلمسه بخجل عندما أخذت

www.elromancia.com

الماسة تتألق في الضوء.

لم تكن متشوّقة إلى حفلة العشاء هذه رغم حبها لعمها وزوجته. فقد كانا تقليديين للغاية، خصوصاً زوجة عمها التي كانت حتماً ستلقي عليها أسئلة كثيرة صعبة.

وقالت لليو مرتبكة وهي ترشده إلى طريق البيت: «ما كان لك أن تفعل ذلك. كان يمكنني أن أعتذر. وعلى كل حال، مع استسلام..».

فقد انتشر في القرية الآن أن مصلحة الضرائب تحقق مع جيريمي دريسكول. ولكن حتى هذه الأقاويل لم تسكت ميرا فانشاو عن مداومة الإشارة إلى قلقها من سلوك جودي.

***

ـ أتريدين أن تتحدثي إلى السيد ليو جفرسن؟

سألت سكرتيرة ليو الجديدة في المصنع المرأة المتصلة بليو والتي قالت إنها لم تستطع الاتصال به إلى تليفونه الخليوي وإنها لم تسمع منه خبراً منذ أيام.

ـ آسفة لأنه غير موجود حالياً، وربما أقفل تليفونه الخليوي لأنه ذهب ليقابل خطيبته.

ومن الناحية الأخرى من الخط، أوشكت السماعة أن تسقط من يد لويزا جفرسن، والدة ليو: «خطيبته؟ آه، حسناً... طبعاً!».

ـ هل أخبره باتصالك؟

ـ آه، هذا ليس ضرورياً.

ووضعت لويزا السماعة وذهبت تبحث عن زوجها الذي كان

بجانب البحيرة. فقالت له: «عليّ أن أذهب إلى انكلترا لأرى ليوناردو».

***

كانت السهرة جيدة فقد ضحك ليو، تأدباً، من نكات عمها، ومدح طهي زوجة عمها بإخلاص جعل من الواضح أنهما سيتقبلانه في أسرتهما بكل ترحيب.

وكانت جودي تراقب كل هذا بتسامح ساخر. وعند تناول القهوة في غرفة الجلوس سمعت زوجة عمها تسأل: «والآن، متى سيكون العرس؟ ألم تحددا الموعد بعد؟».

ـ لا.

ـ نعم.

عندما تكلم الإثنان في وقت واحد نقلت زوجة عمها نظراتها الحائرة من وجه ليو الباسم إلى وجه جودي الرصين.

فقالت جودي: «لقد عقدنا خطبتنا لتوّنا».

وقال ليو: «سأتزوج جودي غداً لو وافقت».

ونظر باتجاه جودي بابتسامة مشرقة ماكرة جعلتها تريد أن تصرخ، وهي تراه يستمتع بذلك.

وأجابت زوجة العم: «طبعاً على جودي أن تنتظر عودة والديها. وماذا بالنسبة إلى والديك، يا ليو؟».

فأجاب بلهجة صادقة: «أريد أن آخذ جودي إلى إيطاليا لتتعرف إليهما وذلك بأسرع ما يمكنني. لكنني أدرك أنهما سيحبانها بقدر ما أحبها».

ثم أمسك بيدها.

شعرت جودي بمشاعر تبعث الرجفة في جسدها منذ لمسها. أذهلها ذلك وأخافها، كما أغضبها جداً. غضبت من ليو لأنه جعلها تحبه، وغضبت من نفسها أيضاً، ومع ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تغمض عينيها وتتمنى لو أن كل هذا كان حقيقة، وأنه يحبها، وأن مستقبلهما سيكون معاً حقاً.

ودعهما عمها وزوجته عند الباب، وكان ليو قد أحاط خصر جودي بذراعه وهما يسيران إلى الباب ومن ثم إلى السيارة خارج المنزل. وعندما وصلا إلى السيارة قالت له: «يمكنك أن تتركني الآن. لا أحد سيرانا».

سألها برقة: «وماذا لو أنني لا أريد أن أتركك؟».

كان ضوء القمر كافياً لكي ترى جودي حرارة المشاعر تلمع في عينيه وهو ينظر إليها.

تراجعت نحو السيارة وهي ترتجف وقلبها يخفق بشدة، ولكن ليس من الخوف.

قالت تعترض: «ليو».

لكنه كان قد تسلل بيديه ببطء إلى ذراعيها فإذا بها ترتجف، ومشاعرها من التوتر بحيث خافت مما قد تفعل. مجرد ملامسة عفوية من يديه تجعلها تشعر بهذا الشكل.

لكنها تحبه... تحبه كثيراً!

قال هامساً: «إننا خطيبان، لا تنسي، وبالتالي مسموح لنا بهذا العمل... بل هو متوقع منا... ثم إنني والله يعلم، أريد ذلك!».

قال ذلك بصوت أصبح فجأة يلتهب بالمشاعر ما جعل جودي

ترتجف مرة أخرى، فقالت: «لكن خطبتنا ليست حقيقية».

- ربما، لكن مشاعري حقيقية.

ووضع يده على خصرها بينما أحاط وجهها باليد الأخرى... وأمسكت هي أنفاسها وإذا به يخفض رأسه ويعانقها.

متى بادلته عناقه المحموم؟ متى أغلقت تلك المسافة الصغيرة بينهما، ويدها الطليقة تمسك بذراعه عندما سحق الشوق في داخلها دفاعاتها؟

- ما الذي فيك يجعلني أشعر بهذا الشكل؟

كان ليو يسألها بصوت مخنوق، لكن جودي كانت تعلم أن هذه الكلمات المثقلة بالشوق لا تقاس بما تشعر هي به.

وسمعت ليو يقول بصوت أجش: «حالياً يمكنني..».

وصاحت بومة فوق رأسيهما فأجفلا، وفجأة ابتعد ليو عنها وتركها تشعر بالبرودة والوحدة وهو يسير ليفتح باب السيارة.

* * *

في الطابق الأسفل سمعت جودي حركة ساعي البريد يضع رسائلها في صندوق البريد. لقد انتهى أخيراً الفصل الدراسي، وبهذا لم يعد عليها أن تسرع للذهاب إلى العمل. أنهت لبس ثيابها ثم نزلت إلى الطابق الأسفل، جامعة رسائلها في طريقها.

هناك بطاقة من والديها، ومجموعة كاملة من بريد تافه لا أهمية له. وكان عليها أن تجلس قبل أن تنظر إلى البطاقة... والداها؟ عليها أن تخبرهما بما حدث معها... قبل أن تصل الأقاويل إلى مسامعهما.

كانت قد طلبت من عمها وزوجته أن لا يذكرا شيئاً عن خطبتها

لوالديها إذا تحدثا إليهما، قائلة إنها ستخبرهما بنفسها. ثم، لعلمها بأنهما لن يعودا إلى الوطن قبل شهرين على الأقل، أقنعت نفسها بأن لديها وقتاً كافياً لاستعادة حياتها الطبيعية قبل عودتهما، إنما الآن...!

سيحبها أبواها ويصدقانها فهما يعرفان من أية طينة هي.

* * *

- أمي!

أخذ ليو يحدق مذهولاً في زائرته التي لم يتوقعها وهو يفتح لها الباب. كان أخبر والديه أنه انتقل إلى منزل استأجره في فرامبتون، وأنه سيعيش فيه حتى يحل كل التعقيدات العائدة للعمل. كان يعلم بأنه لم يستطع أن يفي بوعده ويذهب لزيارة والديه مرة أخرى في إيطاليا، لكنه حتماً لم يتوقع أن يرى أمه على عتبة بابه.

سألها وهو يقطب جبينه حين رأى سيارتها الأجرة تتوارى: «أين أبي؟».

- جئت وحدي. ولن أستطيع البقاء أكثر من أيام معدودات، لكنها تكفي للتعرف أثناءها إلى خطيبتك؟

وكان ليو ينحني ليحمل حقيبتها فوقف فجأة وحدّق إليها.

عدة أجوبة تواترت إلى ذهنه، لكن أمه هي أمه. وهي امرأة بالغة الفطنة والدهاء كما عرفها طوال اكثر من ثلاثين سنة وقدّرها.

أمسك بذراعها يدعوها الى الدخول. ورافقته أمه ثم قالت: «هذا المنزل يمثل بيت أسرة جيداً جداً يا ليوناردو. إنه قوي حسن البناء والأولاد سينشأون هنا بشكل حسن جداً وقد أعجبتني الحديقة رغم

حاجتها إلى إصلاح. هل تحسن العمل في الحديقة خطيبتك هذه؟ هذا ما أرجوه. المرأة التي تطعم حديقتها ستطعم زوجها وأولادها».

كانت أمه الشخص الوحيد في العالم الذي يناديه باسمه الكامل ليوناردو. وأخذ ليو يفكر في ذلك وهو يدخلها الى الردهة، ورآها تنظر متأملة الى زهرية فيها ازهار كانت جودي نسقتها على منضدة الردهة منذ أيام عندما أخذها ليو الى بيته وهما في طريقهما لزيارة عمها وزوجته، وبهذا أمكنه ان ينهي بعض أوراق العمل. وكان قد جاءه اتصال تليفوني استغرق بعضاً من وقته، وعندما انضم إليها أخيراً وجدها جمعت بعض الأزهار من الحديقة ثم نسقتها في ڤاز، قائلة له إن من المؤسف أن تُترك هذه الأزهار تموت دون تقدير أو حب.

قالت أمه: «خطيبتك إذن ربة منزل ماهرة. هل تطهي لك طعاماً؟».

بدت له أمه في محاولتها معرفة صفات جودي الأنثوية والأمومية، بدت له إيطالية للغاية. وتنهد وهو يأخذها إلى المطبخ: «ماما، هناك شيء يجب أن تعلميه... وأن أخبرك به يستغرق بعض الوقت»..

فقالت بحزم: «هناك شيء واحد يجب أن أعرفه ولن يستغرق منك قوله سوى وقت قصير جداً. هل تحبها؟».

ظنت، لحظة، أنه لا يريد أن يجيب. وذكّرت نفسها بأسف بأنه رجل على كل حال وليس صبياً. وإذا به يكشر بشك هزلي وهو يدفع شعره عن وجهه إلى الخلف ما ذكرها بحركة لأبيه ثم قال: «نعم، لسوء الحظ. أنا أحبها».

- لسوء الحظ؟

ـ هناك مشكلة.

حضور أمه غير المتوقع كان تعقيداً للأمور لم يكن ينتظره، ولكن بعد أن أصبحت هنا اكتشف، بشعور من المذلة أنه يريد حقاً أن يتحدث إليها عن جودي، ليطلعها ليس فقط على حبه لجودي ولكن أيضاً على قلقه وارتباكه وتشوّش أموره.

أجابت أمه هازلة: «دوماً هناك مشكلة في الحب، وإلا فهو ليس حباً. أخبرني إذن ما هي مشكلتك... ألا يحبك أبوها؟ هكذا الأب مع ابنته. وأنا أذكر أن أبي..».

ـ لم أتعرف بعد إلى والد جودي يا ماما، وعلى كل حال أنا أخبرتك بأنني أحب جودي، أما ما لم أخبرك به بعد فهو أنها لا تحبني.

ـ لا تحبك؟ لكنكما مخطوبان، ولا بد لي من القول إن معرفتي بخطبتك من السكرتيرة لم تعجبني، على كل حال...

ـ أرجوك يا ماما. دعيني أشرح الأمر.

وعندما فعل، كان حريصاً على أن يهذب قصته كي لا تقفز أمه إلى استنتاج خاطىء عن جودي كما فعل هو لكنه شعر بأنها ليست راضية تماماً عن شرحه للأحداث.

ـ أنت تحبها، لكنها رضيت بالخطبة لتصون سمعتها حيث أنهاصادف أن نامت في سريرك في غرفتك في الفندق، ثم رأوها تغادر غرفتك في الصباح الباكر؟

وارتفع حاجباها بطريقة أظهرت كل أنواع المشاعر، ماجعل قلب ليو يهبط: «يهمني جداً أن أقابل خطيبتك تلك يا ليوناردو».

ـ حسناً، لا أستطيع أن أعدك بأن تريها. عليّ أن أذهب إلى لندن

في عمل عصر هذا اليوم وسأمضي هناك عدة أيام. يمكنك أن تأتي معي إذا شئت أن تتسوّقي.

فنظرت إليه شزراً: «أنا أعيش في إيطاليا الآن وعندنا مدينة «ميلان»، فأنا لست بحاجة إلى التسوّق. بينما أنت في لندن سأنتظرك هنا حتى تعود. أين تعيش خطيبتك؟».

فتنهد: «إنها تعيش هنا في «فرامبتون». أنا أعلم أن نيتك طيبة، ولكن أرجوك، أريدك أن لا... لا..».

ـ لا أتدخل؟ أنا أمك، يا ليوناردو، كما أنني إيطالية...

ـ أفهم هذا، لكنني أرجو أن تفهمي أن ذلك، ما دامت جودي لا تحبني، لن يسبب لي سوى المذلة والإحراج إذا علمت بأنني أحبها، وأنا لا أريد أن أبعث هذه المشاعر في نفس أي منا... ما سأخبرك به يا أمي بيني وبينك فقط وأريد أن يبقى كذلك، وأن لا تذهبي للبحث عن جودي لتناقشي أياً من هذا معها. لا أريدها أن تتكدر أو تُحرج بأي طريقة ومن أي شخص.

مضت لحظة ظنها فيها سترفض، لكنها تنفست بعمق ووافقت: «لن أبحث عنها».

ـ شكراً.

وعندما انحنى ليقبلها سمعها تقول متذمرة: «عندما دعوت الله أن يجعلك تقع في الحب، لم أكن أعني أن يحدث كل هذا».

ـ أعلم أنك تريدين أحفاداً.

وابتسم محاولاً أن يبعث المرح في حديثهما.

ـ نعم، أريد أحفاداً، لكن ما أريده أكثر هو أن أراك تتزوج امرأة تحبها. أريد أن تكتمل حياتك وتسعد بنفس نوع الحب الذي عشنا

فيه، أنا وأبوك. أريد لك ما تريده كل أم لأبنها. أريدك أن تكون سعيداً.

قالت هذا بعنف وعيناها تتألقان بحب وحنان الأمومة.

***

لا يمكن أن ترغب أمه له هذه الأشياء التي وصفتها أكثر مما يرغب هو فيها لنفسه، كما أقرّ ليو وهو يقود سيارته بعد ساعتين نحو «فرامبتون» في طريقه إلى لندن. وكان قد ترك أمه تنسق الورود بعد أن رفضت أن تصغي إلى أي اقتراح منه بأنها بإمكانها أن تعود إلى إيطاليا.

وفي القرية كان الإغراء بأن يتحوّل إلى بيت جودي من القوة بحيث أخذ يتمسك بعجلة القيادة بكل قوة لكي يكبحه. لن تكون حياته الآن سعيدة أبداً، كما أخذ يفكر باكتئاب، من دون جودي وحب جودي، وحضورها وحرارتها.

* * *

جلست جودي أمام شاشة الكمبيوتر تقرأ بعناية رسالة الاستقالة التي أمضت في كتابتها ثلاث ساعات. وقد أنهتها الآن، ولن يمنعها شيء من طباعتها وإرسالها بالبريد.

لكنها، لأمر ما، لم تستطع أن تحمل نفسها على القيام بهذا العمل...

نهضت ثم أخذت تسير في أنحاء الغرفة، وفجأة، التقطت مفاتيحها وسارت نحو الباب.

كان نهاراً صيفياً رائعاً، وحدائق الأكواخ في القسم الذي تسكن فيه من شارع القرية تفيض بالأزهار، مشكّلة مشهداً رائعاً.

عادة، كان هذا المشهد يرفع معنوياتها ويجعلها تفكر كم هي محظوظة في العيش هنا، وأن تكون بشخصيتها هذه: شخصية امرأة ذات عمل تحبه، وأسرة تحبها، وحياة تحبها.

ولكنها ليست مع رجل تحبه... الرجل الذي تحبه. وقريباً، لن تكون مع العمل الذي تحبه أيضاً... مع أن المدرسة والعمل كانا يهمانها جداً، إلا أنهما لا يقارنان بعنف حبها لليو.

انشغالها بالتفكير في ليو، جعلها تسير دون وعي نحو المدرسة. وكان أمامها، خارج الكنيسة، مقعد خشبي مستطيل جلست عليه، وأخذت تنظر في أنحاء المكان الذي كان يعني الكثير لها، والذي طالما جاهدت لأجله.

لم تكن من الغرور بحيث تعتقد أن ليس لمعلمة أخرى مثل قدرتها في التعليم، إن لم يكن أكثر. ولكن هل هناك معلمة أخرى تحب مدرستها بقدر حبها هي لمدرستها؟

وهل ستحب امرأة أخرى ليو بقدر حبها هي له؟

اغرورقت عيناها بالدموع، وعندما أسرعت بفتح حقيبة يدها لتخرج منديلاً لتمسحها به، انتبهت إلى امرأة جاءت وجلست على نهاية المقعد الذي تجلس عليه.

- هل أنت بخير؟ لم أستطع إلا أن ألاحظ أنك تبكين.

تملك جودي الحذر. ذلك أن ليس من عادة الإنسان الإنكليزي أن يعلّق على حزن شخص غريب، مهما كان شعوره بالعطف أو الفضول بالغاً.

رفعت جودي رأسها بكبرياء ثم التفتت إلى المرأة: «أنا بأحسن حال، شكراً».

لكن الذعر تملكها عندما تفجرت من عينيها دموع جديدة سالت على خديها وأخذ صوتها يرتجف. أدركت أنها ستنفجر بالبكاء في أية لحظة الآن كأي طفلة صغيرة.

وقالت المرأة بحنان: «لا، أنت لست كذلك. بل أنت متكدرة جداً كما أنك غاضبة مني لقولي هذا، ولكن أحياناً ثمة فائدة من الحديث إلى الغرباء. رأيتك تنظرين إلى المدرسة..».

ـ نعم، أنا... أنا أعلمّ فيها... كنت كذلك... أما الآن...

وعضت شفتها.

ـ الآن قررت ترك العمل. ربما وقعت في الغرام فأنت مضطرة إلى الانتقال إلى مكان آخر، وأنت تبكين لأنك ستفتقدين هذا المكان الرائع الجمال.

أحست جودي أن هذه المرأة ليست انكليزية رغم انكليزيتها الممتازة. ربما هي زائرة... امرأة مارة في المنطقة... امرأة لن تراها، هي جودي، أبداً أبداً بعد الآن.

وفجأة، لسبب متعذر تفسيره، اكتشفت جودي أنها تحب أن تتحدث إلى هذه المرأة لكي تخفف عن نفسها ولتبحث، إن لم يكن عن تفسير لما يحدث لها، فعلى الأقل عن التفهم من إنسان آخر. شيء ما حدثها بأن هذه المرأة متفهمة. رأت ذلك في دفء عينيها وتشجيع ابتسامتها.

ـ أنا أحب، لكنه حب غير متبادل... الرجل الذي أحبه لا يحبني.

فقالت المرأة بحزم: «لا يحبك؟ إنه مجنون إذن. كل رجل لا يحب المرأة التي تحبه هو مجنون».

وابتسمت لجودي مرة أخرى، فأدركت هذه أن المرأة أكبر سناً مما خيل إليها في البداية. ربما في أواخر الخمسينات من عمرها.

ـ لماذا لا يحبك؟ هل أخبرك بالسبب؟

وجدت جودي نفسها تبدأ في الابتسام: «تقريباً، لقد ألمح إلي..»..

ـ لكنكما عشيقان، أليس كذلك؟

شعرت بوجهها يحمر وهي تعترف: «لا، لم يصل الأمر إلى هذا الحد، مع أنني حاولت إغواءه مرة عن غير قصد..»..

وسكتت وعادت تعض شفتها. هناك أشياء لم تستطع التلفظ بها، ولكن لم يبد على جليستها مثل هذا العائق: «أغويته؟ كيف ذلك؟».

بدت متسلية أكثر منها مصدومة، وعندما نظرت إليها جودي رأت ضحكاً في عيني المرأة السوداوين: «حسناً، كنت... فاجأته تقريباً. فقد رقدت في سريره، ولم يكن هو يعلم بأنني هناك. وعندما استيقظت ورأيته و..»..

وسكتت. وجدت متنفساً في ما تفعله وذلك بإفضاء ما يثقل صدرها إلى امرأة أخرى. وابتدأت تقول بصوت منخفض: «كنت رأيته قبل ذلك في ردهة الفندق، ولم أكن أعرفه حينذاك، ولكنني..»..

وسكتت، فقالت المرأة: «هل انجذبت إليه؟».

فأومأت جودي موافقة بحماسة: «حرك مشاعري بشكل لم يفعله

رجل آخر... وأعتقد أنني أحببته من أول نظرة وقد يبدو هذا جنوناً، وأظنني عندما استيقظت ووجدت نفسي معه في السرير... لا بد أن جسدي تذكر شعوري السابق نحوه، و... لكنه، حسناً ظنني في البداية... تركني وقد ظنني مومساً تحاول إغواءه لتحصل على المال. ما كان لي أن أدخل إلى غرفة رجل مهما كان السبب. لقد شعرت ببالغ الخزي!».

فسألتها المرأة وهي تهز كتفيها: «هل لوقوعك في الحب؟ ولماذا يتملكك الخزي من ذلك؟ هذا شيء طبيعي جداً».

- ربما ليس لوقوعي في الحب، ولكن لسوء تصرفي... كيف لامرأة مثلي أن تقضي ليلة في غرفة رجل... هل سيصدقني أحد لو أخبرته بأن سخرية القدر أدت إلى ذلك؟.

وهزت رأسها وغصت بريقها وأخذت تغالب دموعها. لكن المرأة عادت تسألها: «وهكذا اجتمعت بالرجل الذي أحببته. أنت تقولين إنه لا يحبك. ولكن هل أنت واثقة؟».

- تماماً.

- وها أنت ذي هنا تبكين لأنك لاتطيقين العيش بدونه.

- نعم، وأيضاً لأسباب أخرى.

- أسباب أخرى؟

فسحبت نفساً مرتجفاً: «بعد... بعد أن أدرك أنني لست كما ظنني في البداية... حسناً، عندما أدرك حقيقتي، لمّح إلى أنه يخشى من تأثيري فيه وأنه لا يريد أن يراني ثانية».

- لمّح؟ أتقصدين أنه لم يقل ذلك بالحرف؟

- نعم ولكنني فهمت... أنه يخاف أن أستغله.

وعضت شفتها وحوّلت نظراتها وقد عادت عيناها تغرورقان بالدموع: «حدثت نفسي بأن من المستحيل أن أحب رجلاً مثله، رجلاً يسيء الظن بي بهذا الشكل... أنا امرأة شريفة ولا يمكن أن أستغله أبداً... ولكن الأغنياء يظنون أن كل شيء هو المال».

وهزت رأسها بينما سألتها المرأة:

- ربما أنت مخطئة بشأنه... لقد قلت إنه لمّح ولم تقولي إنه قال. لعل عقلك أوحى لك بذلك... عقل المرأة يفكر بغرابة أحياناً.

- أؤكد لك أنني فهمته جيداً.

- ربما أنت مخطئة بحقه.

- إنه رجل شهم بطبيعته وهذا ما دفعه إلى حمايتي. كان علي أن أواجه تحقيقاً رسمياً لأن هناك من رآني أغادر غرفته في الفندق وأشياء أخرى. وبصفتي مديرة المدرسة، من المتوقع طبعاً أن أكون... هذا هو السبب الذي جعله يقول إننا مخطوبان. لأجل الأقاويل وليحميني.

ورفعت جودي يدها اليسرى حيث كانت ماسة ليو تتألق كدموعها المنهمرة.

قالت لها المرأة: «ولكن كيف يقدم إليك الحماية وهو لا يريدك في حياته... بماذا تفكرين؟».

فجذبت جودي نفساً عميقاً: «قررت أن أنتقل من هنا وأبدأ حياة جديدة في مكان آخر».

- دون أن تخبري حبيبك بذلك؟

تساءلت جودي كيف يبدو كل هذا الاستنكار على المرأة بعد كل

www.elromancia.com

ما أخبرتها به: «ولماذا أتحدث إلى رجل لا يريدني؟».

لم يكن لديها فكرة كم مكثت هنا تفضي بأمورها إلى هذه المرأة الغريبة، لكنها شعرت الآن بالإنهاك والتعب فأرادت العودة إلى البيت لترتاح.

وقفت وهي تقول للمرأة بابتسامة متعبة: «شكراً لإصغائك إليّ».

واستدارت لتذهب لكن المرأة وقفت بدورها، وأدهشت جودي حين عانقتها بحرارة وبكل حنان: «تشجعي، كل شيء سيصبح على ما يرام. أنا واثقة من ذلك».

وعندما ابتسمت لها، ساور جودي شعور غريب بأن هناك شيئاً في المرأة هذه مألوف بشكل ما. لكن ذلك شيء سخيف طبعاً، فهي تعلم أنها لم ترها قط من قبل.

* * *

١٠ ـ رجل في سريرها

ـ ليوناردو، عليك أن تعود إلى «فرامبتون» حالاً.

فاعترض قائلاً: «ماما».

ـ الآن، على الفور يا ليوناردو. وقبل ذلك هل لك من فضلك أن تفسر لي كيف أن المسكينة جودي تعتقد أنك لا تريدها بحياتك؟

ـ ماذا؟ أنا لا أريدها... من أين جاءتها هذه الفكرة؟..

ـ هي قالت لي ذلك... وهذا يؤلمها كثيراً فهي تظن أنك تخشى أن تستغلك بسبب تأثيرها فيك. إنها حقاً تظنك لا تحبها، وهي تتألم لأنها تظن نفسها تحب رجلاً لا يحبها.

ـ لا أدري كيف يمكنها أن تعتقد ذلك. إنني أبداً...

فقاطعته: «أعرف هذا طبعاً، ولكن يبدو أن جودي لا تعرف».

ـ ماذا؟... نعم... طبعاً، ما الذي جعلها تفسر كلامي بأنني...

ـ عليك أن تتحدث إليها هي يا ليونارد وليس إليّ. والأفضل أن تسرع. إنها مصممة على مغادرة المنطقة، وعند ذلك...

ـ أنا قادم. إذا جرؤت على أن تقولي شيئاً لها قبل وصولي، فأنت محرومة من رؤيتي عامين.

www.elromancia.com

وعندما وضعت الأم السماعة، كانت تبتسم بانتصار.

ثم عادت ترفعها وتطلب رقم بيتها في إيطاليا. وعندما أجاب زوجها، والد ليو، قالت تحييه: «مرحباً، ربما قريباً تصبح جداً».

* * *

ـ آه، هيا جودي. أكاد أموت جوعاً وأكره الذهاب إلى المطعم وحدي.

ـ لكنني متعبة يا نايجل.

قالت تعترض حين اتصل بها فجأة، يطلب منها الخروج معه للعشاء: «ويمكنك حتماً أن تخرج مع إحدى صديقاتك».

لكنها أذعنت في النهاية، واستطاعت أن لا تعترض حتى بعد أن أصعدها إلى سيارته، واكتشف فجأة أنه أسقط محفظة نقوده عند عتبة بابها، فعاد ليحضرها.

ولكن الآن، والساعة العاشرة تقريباً، كانت مرهقة تتثاءب، ولم تستطع أن تلوم نايجل وهو ينظر خلسة إلى ساعته. لكنه عندما قال: «حسناً، فلنذهب» وذلك بعد أن نظر إلى ساعته للمرة الثانية، طرفت بجفنيها.

وسألته: «ألا تريد أن تنهي قهوتك؟».

ـ ماذا؟ آه، كلا... فأنا أراك متعبة.

كان طوال المساء في مزاج غريب، كما رأت جودي، فهو متوتر ويتجنب النظر إليها مباشرة. لكنها كانت من التعب بحيث لم تسأله عن السبب. وبدلاً من ذلك سمحت له بأن يخرجها من المطعم بسرعة إلى سيارته. وعندما وصلا إلى بيتها، دعته إلى الدخول لكنه هز رأسه معتذراً.

وعندما سمعت سيارته تبتعد، رأت أن تصعد إلى سريرها. وفي غرفة الجلوس كان الضوء المنبعث من شاشة الكمبيوتر يضيء ما حوله. لكن جودي كانت من الإنهاك بحيث لم تعبأ بالنظر داخل الغرفة، وهكذا لم تشاهد الأطفال الباسمين وهم يتقافزون على شاشة الكمبيوتر حول لوحة كبيرة مكتوب عليها: أحبك، أحبك!

وفي غرفتها ذهبت إلى الحمام مباشرة حيث أزالت زينة وجهها واغتسلت ثم دخلت إلى غرفة النوم المعتمة المألوفة بحيث لم تعد بحاجة إلى إشعال الضوء فيها.

كانت قد نامت فعلاً حتى قبل أن تزيح غطاء السرير. وتكورت في سريرها، السرير القديم المريح البالغ الاتساع الذي يكاد يملأ الغرفة والذي أصرّ نايجل بمكر أن يشتريه لها بصفته هدية من ابن عمها. كان سريراً لم يرقد عليه أحد سواها، مع أن هناك شخصاً يرقد فيه الآن!

كان شخصاً يمكنها أن تعرفه في أي مكان حتى دون أن ترى وجهه. إنها ستعرفه من رائحته، من الجوّ الغامض الساحر الذي يحيط بليو ويطوّقها كلما كانت معه.

ليو! ليو هنا، مستغرق في النوم في سريرها! لا، هذا غير ممكن! إنها في طريق الجنون... تلك تخيلات... أحلام يقظة!

وشهقت عندما التفت حولها ذراعان حقيقيتان دافئتان تشدانها إلى صاحبهما بإلفة رائعة الرجولة.

ـ ليو!

همست باسمه بضعف، فانطلق صوتها بألوان قوس قزح التي كانت تلوّن مشاعرها. وسمعته يسألها بصوت رقيق: «كيف أمكنك

أن تعتقدي بأنني لا أريدك... وبأنني لا أحبك؟ فأنا مجنون بك! وسأحبك إلى الأبد. كنت أظن أنك أنت التي لا تحبيني. لكنهم يقولون إن أشياء كثيرة تؤثر في قدرة المرأة على التفكير منطقياً..».

ـ ليو!

هتفت تعترض وقد ازداد ضعف صوتها. لم تستطع أن تستوعب ما كان يحدث، والأهم من ذلك ليس لديها فكرة كيف حدث هذا: «كيف؟ ماذا؟».

ولكن لم يكن مزاج ليو يسمح له بأن يجيب على أسئلتها.

كان يهمس بكلمات الحب والمرح في أذنها: «كيف أمكنك أن تظني أنني أريدك أن ترحلي عني؟».

حاولت أن تجيب، ولكنه منعها من ذلك، وعلى كل حال، ما أهمية الأسئلة والكلمات.

ـ أول تعارفنا سرقت طريقك إلى سريري وقلبي.

قال هذا وهو يلامسها برقة وحنان ومشاعر ملتهبة: «ومنذ ذلك الحين لم يمض يوم ولا ساعة لم يلهبني فيها الشوق إليك. ولم تمر دقيقة لم يعذبني فيها شوقي إليك!».

وكانت جودي ترى وتشعر بتوتره وهو يكبح مشاعره.

قال: «شكراً لنايجل الذي ساعدني على التسلل إلى فراشك، وأنبهك يا جودي إلى أنني غير مستعد لمغادرته إلا بعد أن أتسلل إلى قلبك أيضاً وأسمع من فمك أنك تودين إبقائي فيه... في قلبك، في حياتك... إلى الأبد!».

ـ إلى الأبد.

قال: «كنت أظن حبي لك كان عذاباً، لكنني أدرك الآن أن

العذاب الحقيقي هو أن أفقدك. أتعلمين شعوري تجاهك؟».

قالت: «لا. لا أعلم».

ثم، بعد أن أخبرها مرة بعد أخرى كم يحبها، وأصر عليها بأن تخبره بأنها تبادله مشاعره، قالت: «أوضح لي ما حدث... وكيف...؟».

وسكتت وهزت رأسها بارتباك وحيرة: «يبدو وكأن جنية ساحرة حركت عصاها السحرية و..».

فقاطعها: «لم تكن تلك جنية ساحرة، وإنما كانت أمي».

ـ ماذا؟ أريد أن أعلم ماذا جرى.

فتنهد بخيبة أمل ساخرة: «جاءت أمي من إيطاليا لتراني، فقد سمعت عن خطبتنا من سكرتيرتي الجديدة، وحيث أنها أم، قررت أن تتعرف إلى خطيبتي... الفتاة التي استجابت إلى دعائها وعمل تلك المرأة الساحرة في القرية التي زاولت سحرها عليّ. أرادت أمي أن تعرف كل شيء عنك فأخبرتها ما هو ضروري، أخبرتها بأنني وقعت في غرامك كلياً، كما أخبرتها بأنك لا تبادليني الحب. وكما تعلمين، كنت مضطراً إلى الذهاب إلى لندن في عمل، ودعوتها لتذهب معي لكنها رفضت، مصرة على البقاء. ولما كنت أعرفها جيداً، أخذت عليها عهداً بأن لا تبحث عنك لتراك مهما كانت الظروف، ولكن يبدو مما أخبرتني به أن الحظ تدخّل. فقد ذهبت لتتمشى في القرية عندما رأت، حسب قولها، امرأة شابة تعيسة الملامح. وكان من الطبيعي أن ترغب في أن تساعدك، وهكذا جلست بجانبك و..».

فقاطعته وقد ابتدأت تفهم: «هل كانت تلك أمك؟ شعرت فعلاً بأن فيها شيئاً مألوفاً، لكنني لم أعرف ما هو».

وتابع: «حالما تركتك اتصلت بي تليفونياً إلى لندن، تطلب أن تعرف ما قلته لك فجعلك تظنين أنني لا أريدك خشية أن تستغلي تأثيرك فيّ».

ونظر إليها برزانة والألم في عينيه: «ما الذي جعلك تظنين إنني..».

فقالت تدافع عن نفسها بحزم: «أنت قلت شيئاً عن هذا..».

ـ كنت أفكر بشيء مختلف كلياً. كنت أفكر في الكنيسة للزواج. هذا ما كنت أفكر فيه لا في الابتعاد عنك. أنا أحبك يا جودي مارش، وأريد أن أتزوجك.

وابتسمت: «وأنا أيضاً أحبك يا ليو جفرسن وأريد أن أتزوجك».

* * *

الختام

ـ هل ما زلت تنوين التعليم في مدرستك؟

من فوق رأس حماتها، ابتسمت جودي في عيني ليو بينما أخذت الحماة تناغي مبتهجة حفيده الطفل.

كان عيد انقضاء عامين على زواج ليو وجودي، وكانا قد ذهبا إلى إيطاليا ليحتفلا به مع والديه.

فأجابت جودي: «حالياً، ولكن بدوام غير كامل فقط فأنا الآن أم».

رسائل المساندة التي تلقتها جودي من أمهات التلاميذ ملأتها بهجة، ثم، كما سبق واتفقت مع ليو، هي تدين لكل من ساندها لكي تبقى في المدرسة حتى يجدوا البديلة المناسبة لها.

قالت لليو باسمة: «وعلى كل حال، سيذهب أولادنا إلى هناك».

وكان ليو اشترى منزل «آشتون هاوس».

وأتى والدا ليو إلى «فرامبتون» من إيطاليا لحضور مولد الطفل، ومعهما ضيفة غير عادية إلى حفلة التعميد، وكان السرور بها واضحاً على والدة ليو، كما كانت التسلية على وجه والده.

ـ اسمها ماريا، وهي تقول إنها ستصنع لك شراباً خاصاً لك لتشربيه وهو يضمن لك ولليو وأولادكما السعادة.

www.elromancia.com

همست لويزا جفرسن بذلك في أذن كنتها جودي وهي تقدم ساحرة القرية عندهم إلى جودي.

وقد أجابت جودي حينذاك بابتسامة تتألق ثقة وحباً نحو زوجها: «سعادتي مضمونة ما دام ليو معي».

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة